



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات
Strategic Fiker Center for Studies



أوراق سياسية

الأبعاد الاستراتيجية لصعود الدب الروسي



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات

Strategic Fiker Center for Studies

مقدمة

شهد مطلع العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين تغييرات جذرية كبيرة، غيرت - ولا تزال تغير- من وضعية خريطة العالم التي كانت شبه مستقرة من بداية تسعينيات القرن العشرين، تمثلت هذه التحولات في صعود بعض القوى الدولية التي حاولت بدأب تقويض النظام الدولي أحادي القطبية، وكسر احتكار تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، وكان من أبرز هذه القوى الصاعدة الدولة الروسية بقيادة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الذي صعد إلى سدة السلطة في العام ٢٠٠٠. بدأت معطيات الصعود الروسي تظهر جلياً مع صعود فلاديمير بوتين على قمة رأس السلطة في روسيا مطلع الألفية الثانية، وهو رجل المخبرات القديم الذي أطاح بخصومه، واستطاع إعاقة المعارضة بعراقيل قانونية وأمنية، ليتمكن بعد مدة وجيزة من السيطرة على أغلب مفاصل الدولة في روسيا، وليصبح هو وحده المتحكم في سلطة أقطابها مكونة أساساً من نخبة الجهاز البيروقراطي في الدولة الروسية، والأجهزة الأمنية، ومجموعات موالية من رجال الأعمال.

قدم بوتين إلى الحكم ولديه أجندة واسعة لانتشال روسيا من حالة التيه التي مرت بها منذ بداية التسعينيات بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، وانفراط عقد الإمبراطورية الحمراء التي خلفت من ورائها حالة تشظٍ واسعة، ما بين دول صغيرة انفصلت وأسست لنفسها دولاً مستقلة انضمت لاحقاً إلى الاتحاد الأوروبي، ودول أخرى أرادت الاستقلال عن روسيا ودخلت في مواجهة عنيفة مع الدولة الأم، واقتصاداً رثاً يعاني حالة تدهور عنيفة للغاية، ونفوذاً تراجع بفعل سيطرة المافيات ورجال الأعمال على مجريات الأمور السياسية والاقتصادية بالكرملين.

أتى بوتين الذي قضى سنوات طويلة في خدمة جهاز المخبرات السوفييتي القديم (الكي جي بي) محاولاً بصعوبة شديدة القضاء على هذه المشاكل، ومن ثم التفرغ لاحقاً لاستعادة مكانة روسيا الإقليمية والدولية، ونجح الرجل حقاً في تحقيق استقرار داخلي بقبضة حديدية وفرتها له خبرته الأمنية، وممارسات استبدادية سهلت من إمساكه للسلطة كاملة في يديه.

الصعود الروسي الحالي، وتمدها في مساحات نفوذ وريثها القديمة، توازى معه انسحاب أمريكي تحت ضغط الاستراتيجية التي وضعها باراك أوباما بالانسحاب التدريجي من مناطق صراعات بعيدة، بالخصوص منطقة الشرق الأوسط، أو على الأقل عدم التورط الشامل في صراعات المنطقة، وترك إدارة جزء من خلافاتها لبعض دول المنطقة، وهو ما

أدى بالتبعية إلى حدوث فراغ نتج عنه زيادة الوجود الروسي، حتى ولو كان جزء منه في إطار إدارة ملفات متفق عليها مع القوى الكبرى.

تطرح هذه الدراسة بعض التساؤلات المرتبطة بتأثير الصعود الروسي على العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية والأوروبية، وأيضاً تأثير هذا الصعود على دول منطقة الشرق الأوسط ومستقبل المصالح الاستراتيجية فيها، وكذا تأثيره على الملف الأبرز بالمنطقة؛ وهو الملف المرتبط بالحرب في سوريا، وتأثير تحولات الاقتصاد الروسي على طموح بوتين.

١. بوتين وإحياء الإمبراطورية الروسية

في النصف الثاني من يناير/كانون الثاني ٢٠٠٧، وأثناء مناقشاتهما حول إمدادات الطاقة في مقر إقامة الرئيس الروسي بمدينة سوتشي الساحلية، استدعى بوتين كلبته السوداء كوني (Konni) إلى غرفة اجتماعه مع المستشار الألمانية أنجيلا ميركل، تجمدت أوصال ميركل فور وصول الكلبة، التي طفقت تتشمم مقعدها. كانت ميركل قد عُضت مرة، عام ١٩٩٥، ولم يكن خوفها من الكلاب يخفى على بوتين الذي كان يجلس مستلقياً في مقعده مستمتعاً باللحظة باسترخاء تام، قال بوتين: «أنا متأكد من أنها ستصرف بطبيعتها»، وردت ميركل بتلقائية: «الأهم أنها لا تأكل الصحفيين»، وغضب الصحفيون الألمان من أجلها، وكانوا «متأهبين لضرب بوتين»، على حد وصف أحد المراسلين الحاضرين، بعد ذلك فسرت ميركل لبعض المراسلين سلوك بوتين: «أفهم سبب اضطراره إلى فعل هذا؛ ليثبت رجولته، إنه خائف من ضعفه، روسيا لا تمتلك شيئاً، لا اقتصاد ولا سياسة ناجحة، كل ما لديهم هو مثل هذه الأفعال».

بعد ٩ سنوات من الحادثة، صرّح بوتين لجريدة (بيلد) الألمانية أنه لم يقصد بتاتا إخافة المستشار الألمانية، بل كانت نيته إبهاجها، لكن لحظة استعلائه الذكوري (الماكيزمو) ظلت رمزاً لشخصية بوتين وروسيا تحت إدارته كما يتصورهما الغرب.

يُعدُّ ما يعرف اليوم باسم روسيا، أو الاتحاد الروسي، الوريث الشرعي للاتحاد السوفييتي، ولم يؤد تفكك الاتحاد السوفييتي، بعد عامين تقريباً من انتهاء الحرب الباردة عقب سقوط سور برلين وتداعي حلف وارسو، إلى تفكك الاتحاد الروسي أو زواله، على الرغم من أنه بعد تفكك الاتحاد السوفييتي وخلال عهد يلتسين، تحمل الروس انخفاضاً حاداً في أساسيات قوتهم، ومروا بمرحلة انتقالية صادمة ومؤلمة نحو اقتصاد السوق والديمقراطية، وفي أواخر عام ١٩٩٨، قبل عام واحد من مغادرة يلتسين للسلطة، كان التدهور قد وصل إلى ذروته؛ إذ كانت روسيا على حافة الإفلاس نتيجة العجز الضخم في الدين المحلي، وانخفاض قيمة الروبل، ولكن على الرغم من تراجع الموارد البشرية والمادية، فإن روسيا بقيت في صورتها

كقوة عظمى؛ بفضل عضويتها الدائمة في مجلس الأمن، وترسانتها النووية الضخمة، ومساحتها الشاسعة التي تشغل أكثر من ربع مساحة أوروبا وآسيا مجتمعتين، على الرغم من بقائها قوةً متراجعةً من الدرجة الثانية.

ولم تفقد روسيا مكانتها السياسية-الأيدولوجية بين العالم، أو نفوذ سلطتها على جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابقة فحسب، بل عانت من أزمة الهوية التي نشأت عن اضمحلالها متعدد الأوجه .

كان بوتين قد اختير في أعلى منصب من قبل يلتسين، أول رئيس روسي، لأسباب لا تتحصر في مجرد وقوفه في صفه إبان انقلاب ١٩٩١، وعندما وصل بوتين إلى السلطة عام ٢٠٠٠ أعاد إنتاج نسخة من الدولة الأمنية التي صنعها ستالين .

بعد انتخابه لولاية رئاسية أولى في مارس/آذار ٢٠٠٠، بدأ بوتين على الفور باتخاذ مجموعة من الإجراءات الهادفة إلى ترسيخ سلطته، أو ما عُرف (بالديمقراطية الموجهة)، وتقوية سلطته الشخصية؛ من خلال تقوية المراكز في مواجهة الأطراف المكونة للاتحاد الفدرالي الروسي، والعمل على إنهاء النزاعات الانفصالية، والأهم إنهاء سيطرة الأوليغاركية ووسائل الإعلام التابعة لها، وإخضاعها لسيطرة الدولة، ثم السيطرة على النظامين الحزبي والانتخابي في روسيا .

تمثلت الخطوة الأولى للوريث بوتين بعد انتخابه في الإصلاح الإداري والسياسي الذي دار حول تشديد مركزية الدولة، وتقوية هرم السلطة، وإخماد النزعات الانفصالية التي انتشرت على نطاق واسع في عهد يلتسين، وأصبح شعار (ضرورة الحفاظ على وحدة الدولة الروسية)، وتقوية المركز في مواجهة الأطراف، أحد مكونات أيديولوجيته خلال ولايته الأولى .

إلى جانب الإجراءات المذكورة لتقوية مركزية الدولة، وهرم السلطة، ومنظومة السلطة الشخصية لبوتين في المناطق والأقاليم والجمهوريات المكونة للاتحاد الفيدرالي الروسي، عمل بوتين على تسوية العضلة الشيشانية، بعد أن تمكن بقيادته للحرب الشيشانية الثانية من إحراز انتصارات مهمة على المسلحين في الشيشان. ففي أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٣، أجرى بوتين انتخابات رئاسية في الشيشان وفقاً لخطة وضعها لتسوية المشكلة الشيشانية، بدأت في مارس/آذار من العام المذكور، بإجراء استفتاء على دستور جديد لجمهورية الشيشان، وقد أُقرَّ هذا الدستور بأكثر من ٩٠% من الأصوات، وهو ما شكك فيه كثيرون.

نص الدستور الجديد على «أن جمهورية الشيشان تعد جزءاً لا يتجزأ من الاتحاد الفدرالي الروسي»، وكان واضحاً في تلك السنوات أن بوتين استبعد تماماً التفاوض مع أصلان مسخادوف، الرئيس الشيشاني الأسبق، وانتهج نهجاً لتصفية قيادات المسلحين الشيشان، وعلى رأسهم مسخادوف نفسه، وذلك على الرغم من إعلان أصلان مسخادوف

المتكرر استعداده لإجراء مفاوضات سلمية مع موسكو دون شروط مسبقة .

تمكن الثعلب المخابراتي من تقوية مركزه داخلياً من خلال تجميع أطراف السلطة في يديه، والقضاء على المناوئين لسلطته، بالخصوص المجموعات الموالية للرئيس الأسبق (يلتسين)، واستطاع أن يحقق سيطرة مركزية كاملة على السلطة بروسيا لعدة أسباب؛ أبرزها كان تحقيقه السيطرة المركزية على مقاليد السلطة، نتيجة التدفق النقدي بعد خصخصة جزء كبير من صناعة النفط والغاز، ومنها شركة (يوكوس) الضخمة؛ حيث إنه من عام ١٩٩٩ إلى ٢٠٠٨، نما الاقتصاد الروسي بنسبة ٧٪، وتضاعف الناتج المحلي، وارتفع متوسط دخل الفرد مرتين ونصف مرة نتيجة نجاحه في تحقيق طفرة اقتصادية بسبب توافر احتياطات الوقود والغاز. كما استطاع تأمين فوزه في الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٠ من خلال سيطرته على المحطة التلفزيونية الرئيسية حينها، واستخدامه للأجهزة الأمنية القادم منها، وتسويقه لأبرز منجزاته، وأهمها استعادة هيبة الدولة الروسية التي فقدت خلال عشرية كاملة قبل قدومه.

لاحقاً استطاع بوتين- من خلال الضغط بإجراء تعديلات دستورية متكررة- التناوب على السلطة مع ديمتري ميدفيديف، رئيس الوزراء الحالي، والرئيس الروسي السابق، ثم بتعديلات دستورية أخرى استطاع بوتين- وسط صمت مكتوم من المعارضة- أن يضغط على البرلمان الروسي (الدوما) لتمرير تعديل دستوري يسمح بتمديد مدة ولاية الرئيس من أربع سنوات إلى ست، ومدة أعضاء مجلس الدوما من أربع سنوات إلى خمس، وحظي التعديل بتأييد الأغلبية البرلمانية التي يتمتع بها حزب روسيا الموحدة بزعامة بوتين.

مع كل صعود يحققه بوتين، ومع كل محاولات استحواذ كبيرة، ومد أكبر للنفوذ الروسي، تزداد الفجوة بينه وبين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية؛ فقد توترت علاقات روسيا بالغرب على خلفية الأزمة في أوكرانيا، وما ترتب على ذلك من دخول شبه جزيرة القرم، الغنية بالنفط والثروات الطبيعية، في هيكل الاتحاد الروسي، ومما ساعد بوتين أن نظراءه في الغرب لا يخططون للتورط في مواجهة طويلة الأمد بشأن النزاع في أوكرانيا، فضلاً عن الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة لم يمكنهما حل هذا النزاع فعلياً؛ فالولايات المتحدة أسست (تحالفاً من الراغبين) لإضفاء قدر من الشرعية على تدخلاتها الأخيرة في العراق وأفغانستان وغيرها، ولكنها لم تذهب للحرب في أوكرانيا، أو قصف روسيا؛ فهي- أي واشنطن- تفتقر إلى المال والإرادة الكافيين لفرض عقوبات موسعة على موسكو .

ورغم فرض عقوبات أوروبية على روسيا أثرت كثيراً في الاقتصاد الروسي، فإن تفجر الوضع في سوريا، وسياسة أوباما الانسحابية، عززت من وضع بوتين الذي استخدم الملف السوري كي يفاوض عليه الأوروبيين في ملفات أوكرانيا وجورجيا .

منذ وصول الرئيس بوتين إلى السلطة في العام ٢٠٠٠، وضعت السياسة الخارجية الروسية هدفها في مزيد من الاندراج في العمليات السياسية والاقتصادية والأمنية العالمية، وذلك على

قاعدة إدراج تطورها الداخلي، وطموحاتها الدبلوماسية، في سياق العولمة، لكن بوتين رأى أنه يجب أن تصبح روسيا قوة عظمى حديثة؛ قوية اقتصادياً، ومتقدمة تقنياً، ومتطورة اجتماعياً، ومؤثرة سياسياً؛ ومن ثم يجب أن تكون روسيا أيضاً «متكيفة مع اقتصاد العولمة»، ومن ذلك إخضاع السياسة الخارجية للاقتصاد.

جوهر هذا النهج يكمن في اعتماد سياسة خارجية فاعلة غرضها توفير أفضل الظروف للنمو الاقتصادي، وتشجيع نشاط رجال الأعمال الروس، ومن ذلك دخول روسيا في منظمة التجارة العالمية. وأعطت الإدارة الروسية أولوية للمصالح الاقتصادية على المصالح السياسية والسياسية-العسكرية. لقد ساد الاعتقاد أن روسيا لن تحتل مكانة مرموقة في العالم ما لم تنتقل بسرعة إلى النمو الاقتصادي.

بين ٢٠٠٠-٢٠٠٢ لم تعتمد روسيا إلى ذكر توازن القوى، ولا حماية مناطق النفوذ، ولكن في العام ٢٠٠٣ بدأ تغيراً ما يتبلور تدريجياً؛ إذ أعلن الاتحاد الروسي انفتاحه على التعاون الأمني مع الغرب في كل ميادين التهديدات الجديدة، حتى داخل مجال التأثير السوفييتي السابق. وغداة الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ برهنت على مصداقيتها وذلك بعدم اعتراضها على نشر قوات عسكرية غربية في عدد من جمهوريات آسيا الوسطى لتسهيل عملية التحالف العالمي المعادي للإرهاب في أفغانستان، ولكن موسكو انتقلت إلى اعتماد سياسة دفاعية متطورة مع التوسع الغربي في مجال نفوذ الاتحاد السوفييتي السابق، من قبل الولايات المتحدة وحلف الأطلسي والاتحاد الأوروبي. لقد فسرت روسيا مبادرات الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة على أنها عمليات تطويق ومحاصرة لها لإضعافها إقليمياً وعالمياً، فعادت روسيا إلى المحافظة على مناطق نفوذها، وهو ما دفعها إلى اللجوء إلى العامل العسكري بصفته أداة رئيسية للمحافظة على النفوذ، وانتقلت روسيا إلى اتهام الغرب باستخدامه «الحرب على الإرهاب» للقضاء على «مصالحها الحيوية»، و«لأغراض جيوسياسية».

لدى وصول بوتين إلى السلطة في العام ٢٠٠٠ وضع هدفاً له الأولوية؛ هو جعل روسيا شريكاً لا غنى عنه للغرب في التوازنات الدولية، وانطلق بوتين في رسم سياسته الخارجية من اعتباره أن لروسيا خصوصية في كونها قوة عالمية تستند تاريخياً إلى اتساع رقعتها الجغرافية كجسر بين القارة الأوروبية وقارة آسيا، ولهذا فإن التمدد الغربي في مناطق نفوذ الاتحاد السوفييتي السابق يثير حساسية مفرطة عند النخبة الروسية، ويُعد بمنزلة تدخل خارجي؛ فالسيطرة على هذه المناطق تهدد هوية روسيا الأوروآسيوية، وتقلص من دورها الإقليمي والعالمي، فإذا عجزت روسيا عن تأكيد دورها في مجال الاتحاد السوفييتي السابق، فستعجز أيضاً عن تأكيد نفسها بقوة عالمية عظمى، ومن ثم يمكن تفسير الصراع الذي جرى على خلفية ملفات جورجيا وأوكرانيا.

مؤهلات القوة الروسية .

تعد روسيا أكبر البلدان مساحة، ومن أكبر الدول المنتجة للغاز والبتروول، كما أنها لا تزال تحتفظ بمقعدها الدائم بمجلس الأمن (ضمن خمس دول فقط)، ويجري باستمرار تحديث ترسانتها النووية (التي كانت تنفرد هي وأربع بلدان أخرى بها إبان الحرب الباردة، وأصبح العدد الآن يصل إلى تسع دول)، كما أن الزيادات المستدامة في إنفاقها العسكري قد جعلها على مقربة من تحقيق هدفها في الهيمنة على الحروب المحلية والإقليمية.

بيد أن الأساس الاقتصادي الذي يخولها مثل هذه القدرات لا يزال في تراجع دائم، فروسيا لا تزال مثقلة بالبنية التحتية المتهاكلة الموروثة من العهد السوفييتي، وتراجع قدرتها على تلبية الاحتياجات التعليمية والصحية لشعبها بشكل متسارع، وحسب آخر إحصائيات عام ٢٠١٥، تحتل روسيا المرتبة الثالثة عشرة بناء على تصنيف البنك الدولي للنتائج الإجمالي المحلي (GDP)، بنحو ١,٣٣١,٢٠٨ دولار أمريكي، وهو ما يعادل ٧,٤٪ فقط تقريباً من إجمالي الناتج المحلي الأمريكي الذي يقدر بنحو ١٨,٠٣٦,٦٤٨ دولاراً أمريكياً. لكن بغض النظر عن ذلك ثمة نقطتان لا يمكن تجاهلهما حول مكانة روسيا الدولية؛ أولاًهما أن روسيا لا تزال تعد نفسها قوة عظمى، وهذه قناعة سائدة غير قابلة للتشكك داخلها، والثانية أن الصين قد تفوقت على روسيا منذ زمن بعيد، وأصبحت هي القوة العالمية الثانية بعد الولايات المتحدة .

تعتمد روسيا الجديدة بقيادة بوتين على عدة عناصر أساسية لتعزيز نفوذها، ومحاولة خلق إمبراطورية روسية تعيد أمجاد الاتحاد السوفييتي السابق، وإن كان بمفردات وشكل مختلف، أبرزه مركزية التوجه الرأسمالي كخيار اقتصادي لبوتين.

أ. القوة الاقتصادية

روسيا دولة مترامية الأطراف، غنية بالموارد، وذات تنوع هائل، وبعد تحولها السياسي والاقتصادي المضطرب في التسعينيات، شهدت ما يزيد على عقد كامل من النمو الاقتصادي المرتفع، الذي لم يكد يتوقف بفضل طفرة الدورة الفائقة للسلع الأساسية، وخاصة ارتفاع أسعار النفط حينئذ، وقد انخفضت حينها معدلات الفقر انخفاضاً كبيراً، ونمت الطبقة الوسطى مع بدء تمتع المواطنين بفوائد النمو الشامل الذي شهدته.

وعندما تولى بوتين السلطة جعل أولويته في التركيز على النهوض بالاقتصاد الروسي؛

ففي عام ٢٠٠١:

- ازداد الناتج المحلي الإجمالي إلى نحو ٧٢٪ مقارنة بعام ١٩٩٠.

- حُلّت المشاكل المتعلقة بتأخير الأجور والمعاشات.

- زادت العوائد بعد فرض ضريبة ثابتة على الدخل الشخصي.

وفي ١٦ مايو/أيار ٢٠٠٣:

قدم بوتين في الخطاب السنوي أمام المجلس الفيدرالي ثلاثة أهداف رئيسة لسياسته الاقتصادية حتى عام ٢٠١٠؛ وهي:

- مضاعفة الناتج المحلي الإجمالي.

- التغلب على الفقر.

- تحديث قدرات الجيش.

وكانت الخطوة الأولى في سياسات بوتين هي العمل على ترسيخ الاستقرار الداخلي، وإعادة دور الدولة مرة أخرى؛ وذلك من خلال عدد من العناصر، كان من ضمنها:

- تعزيز قدرة الدولة على التدخل في الحياة العامة، فأصدر قانوناً بخصوص

المنظمات غير الحكومية في ٢٠٠٦؛ ليحقق مراقبة السلطات الحكومية الإدارية لهذه المنظمات لتقييد حركتها.

- إصدار عدة قوانين للقضاء على الفساد والفاستدين من الدولة ورجال الأعمال؛ وذلك لتوفير الاستثمارات اللازمة لتمويل المشروعات الكبرى.

- استخدام عائدات الموارد الطبيعية في رفع المستوى الاقتصادي، ومن ثم مستوى

معيشة المواطنين، وذلك من خلال تعزيز قدرة الدولة في مجال النفط والغاز الطبيعي، وهو ما نتج عنه عند ارتفاع أسعار البترول العالمية عودة العملة الروسية إلى قيمتها قبل

أزمة ١٩٩٨، وتحرير البلاد من دينها الخارجي الذي قدر بنحو ٢٥ مليار دولار.

- اعتماد سياسة اجتماعية نشطة بفضل فوائد النفط، حيث طرح تطوير سياسة

الحماية الاجتماعية والأمن بصفاتها أولويات في سياسته الخارجية .

ولكن منذ عام ٢٠١٢ تباطأت وتيرة النمو الاقتصادي، والآن تجد روسيا نفسها، تزامناً

مع انخفاض أسعار النفط والعقوبات الاقتصادية المفروضة عليها، في فترة ممتدة من

الركود الاقتصادي، وتواجه الإنجازات البارزة التي تحققت في العقدين الماضيين خط

الزوال، وعاد معدل الفقر في ٢٠١٥ (٢, ٨٪) إلى ما كان عليه عام ٢٠٠٧.

لكن كل هذه الضغوط لم تؤدّ إلى انهيار شامل في الاقتصاد الروسي، على عكس ما

حدث في نهاية الثمانينيات وطيلة عقد التسعينيات، لماذا؟

- تتحرك روسيا ببرنامح تقشف صارم، وخفض من ميزانية الإنفاق على البرامج

الاجتماعية والمعاشات؛ من أجل السيطرة على الميزانية، وذلك على عكس الاتحاد

السوفييتي واستعانتة بطبع النقود لسد العجز في الميزانية.

- رفع بنك روسيا أسعار الفائدة إلى مستويات في خانة العشرات، وهو ما هبط بنسبة التضخم إلى ٦٪ مؤخراً، وهو رقم محترم بالنسبة إلى سوق ناشئة.

ومن المتوقع أن يكون العجز في ميزانية الكرملين أكثر من ٣٪ بنسبة قليلة، مع أن أسعار النفط، التي شكلت نصف موارد الدولة في الماضي، هبطت أسعارها إلى نصف ما كانت عليه منذ عامين، ويظل الدين الحكومي الروسي أقل من ٢٠٪ من إجمالي الناتج المحلي، وفقاً للإحصائيات الحكومية الروسية، في حين يمثل الدين العام الأمريكي أكثر من ٧٥٪ من إجمالي الناتج المحلي، وفقاً للبنك الاحتياطي الفيدرالي. ويساعد هذا الموقف المالي المحافظ على تفسير مرونة اقتصاد بوتين غير المتوقعة، فعلى الرغم من العقوبات الاقتصادية التي يفرضها الغرب، تظل الشركات الروسية العملاقة قادرة على جذب التمويل الذي تحتاجه بالعملة الصعبة، والاقتصاد قادراً على العودة إلى النمو مجدداً رغم الحروب التي تخوضها روسيا في أوكرانيا وسوريا، مع أنها نفس الظروف التي أدت بالاتحاد السوفييتي إلى الإفلاس.

وعلى الرغم من أن بوتين لم يقدم الكثير لتفكيك النظام الفاسد الذي ازدهر في روسيا منذ توليه الحكم، فإنه منذ أزمة القرم (٢٠١٤)، وما زانها من تعثر اقتصادي شديد، لم يعد صابراً على هذا النظام الذي يحد بفساده من تحقيق مغامراته العسكرية الخارجية، ولم يعد سعيداً برأسمالية المحسوبية، ولهذا ظهرت في الآونة الأخيرة تحقيقات بصفقات فساد ضخمة يتورط بها حكام محليون، ومسؤولون تنفيذيون كبار بالدولة، بوصفهم (قطع شطرنج جيدة) للتضحية بهم، إذ إن ألقابهم الوظيفية كبيرة وذات صدى، وكذلك يمكن استبدالهم بسهولة.

لكن النمط الذي اتبعه بوتين في محاربة الفساد كان يبتعد عن الصدام مع المقربين منه، لأن ولاءه لأصدقائه يعد واحداً من مبادئه الأساسية، وعلى هذا النمط كان يدفع بأصدقائه وزملائه القدامى بالمخابرات الروسية، سواء فلاديمير ياكوفين (الرئيس السابق للسكك الحديدية)، أو سيرجي إيفانوف (رئيس الديوان بالكرملين سابقاً)، إلى وظائف أخرى عاطلة أو إلى التقاعد، لا إلى المحاكمات، ولهذا كانت التحقيقات الأخيرة مع وزير الاقتصاد الروسي، أليكسي أوليوكايف، لطلبه مليوني دولار رشوة لتسهيل شراء شركة (روزنيفت) لشركة النفط (باشنيفت) إشارة إلى حالة طوارئ جديدة داخل روسيا.

لكن ماذا عن دور الاقتصاد الروسي في كبح نفوذ بوتين؟

تقول إحدى بدهيات الجيوبوليتيكا العالمية إن الدول لا يمكنها إبراز قوتها إلا بالقدر الذي يسمح به اقتصادها، ويعد هذا تفسيراً مقبولاً لبقاء الولايات المتحدة، التي تمتلك أكبر اقتصاد في العالم بفارق كبير عن باقي منافسيها، وهي القوة المهيمنة على كل ما هو سياسي وعسكري طوال الستين عاماً الماضية، ويمكننا أيضاً النظر إلى صعود الصين إلى

مكانة القوة العظمى بفضل صعودها الاقتصادي المذهل.

يبدو واضحاً أن الرئيس الروسي يحاول إعادة تأكيد نفوذ بلاده في أوروبا على أساس اقتصادي أشد تزعزاعاً من أي وقت مضى، والسؤال الذي يطرح نفسه مع مضي بوتين قدماً هو «هل بإمكان اقتصاده المتعثر أن يتحمل طموحاته الجيوسياسية؟ بالرجوع إلى إحصائيات البنك الدولي نجد أن التدخل الروسي غير المباشر في أوكرانيا (فبراير/شباط ٢٠١٤)، والتدخل المباشر في سوريا (سبتمبر/أيلول ٢٠١٥)، قد زامنا تعثراً شديداً في الاقتصاد الروسي نتج عنه تغير في بعض المؤشرات؛ وهي:- انكماش الاقتصاد الروسي مجدداً ليصل إلى ١,٣٣١ تريليون دولار أمريكي بنهاية ٢٠١٥، مقارنة بعام ٢٠١٣ البالغ نحو ٢,٢٣٢ تريليون دولار أمريكي، وهي أعلى قيمة منذ صعود بوتين إلى سدة الحكم عام ٢٠٠٠.

- تراجع نمو الناتج المحلي الإجمالي السنوي من ٢,٢٧٩% في ٢٠١٣ إلى ٠,٧٠٦% في ٢٠١٤، ثم مؤخراً إلى -٣,٧٢٧% في ٢٠١٥، تزامناً مع هبوط أسعار النفط (بنسبة ٥٥% خلال سبعة أشهر، بدأت في يونيو/حزيران ٢٠١٤)، والتدخل الروسي في أوكرانيا، ثم الحملة على سوريا التي توقفت بانسحاب جزئي في مارس/آذار ٢٠١٦، ثم التراجع عن هذا الانسحاب بعد تدهور وضع النظام السوري مجدداً، ثم الانسحاب النوعي مجدداً في يناير/كانون الثاني ٢٠١٧.

- استمرار تأثر الاقتصاد الروسي بهبوط أسعار النفط، وتقييد إمكانية وصول روسيا إلى أسواق رأس المال العالمية بشكل متفاوت، بناءً على توقعات البنك الدولي.

- انخفاض نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي من أعلى نسبة وصل إليها؛ وهي ١١,٦١٥ دولاراً في عام ٢٠١٣، إلى ١١,٠٢٨ دولاراً في عام ٢٠١٥، وانخفضت الرواتب بقيمة ٩ بالمائة في عام ٢٠١٥، وهبط أكثر من مليوني شخص تحت خط الفقر.

ولكن ماذا عن الميزانية الروسية في ظل التعثر الاقتصادي الحالي؟

ولأن روسيا لا تستطيع التحكم في أسعار النفط، تحتم عليها أن تجد طريقة أخرى لتدبير الميزانية، وتطلب الأمر خفض النفقات الحكومية على نحو كبير (ما عدا الدفاع والخدمات الاجتماعية)، ففي ميزانية عام ٢٠١٦، حُطّط لأن يكون سعر النفط خمسين دولاراً للبرميل، والعجز المستهدف بقيمة ٣ بالمائة، ولكن هبوط أسعار النفط يعني تقليل الدخل، وهذا يعني أن الميزانية المستهدفة لن تتحقق، ولزيادة الإيرادات ثمة خطط لخصخصة بعض شركات الدولة.

ومن المقرر خفض الميزانية العسكرية بنسبة ٦% سنوياً، أو بنسبة ٥%، وفقاً لوكالة رويترز، على مدى السنوات الثلاث المقبلة، بعد ١٥ عاماً من الزيادات.

وتستطيع روسيا بسهولة تحمل تكلفة عملياتها العسكرية في سوريا؛ لأنها منخفضة مقارنة بمساعي الولايات المتحدة المشابهة، ولأن ١٧ عاماً متتالية من زيادات التمويل والميزانية المبهمة ساعدت على ملء جيوب الجيش، فحتى لو استمرت روسيا في القصف الجوي على هذا المستوى عاماً كاملاً، فلن تستهلك سوى ٣ بالمئة فقط من موارد الميزانية المحلية الموضوعية للدفاع في عام ٢٠١٦، وفقاً لمجموعة (Janes) البريطانية للأبحاث العسكرية، وللحسابات التي قامت بها جريدة فايننشال تايمز البريطانية .

وتكلف العملية في سوريا، وفقاً لتقدير المحللين، مليار دولار أو ملياري دولار سنوياً، وتُمول الحرب من ميزانية الدفاع الروسية السنوية التي تقدر بنحو ٥٤ مليار دولار، وفقاً لمسؤول استخبارات أمريكي لم يذكر اسمه، حسب ما ذكرت وكالة أنباء رويترز .

ويرى المحللون والمسؤولون أن التكلفة تعد محدودة بالنظر إلى أسعار النفط المنخفضة التي- على الرغم من إضرارها بالاقتصاد الروسي عموماً- أكسبت ميزانية الدفاع مرونة أكبر؛ عن طريق خفض كلفة وقود الطائرات والسفن. يضاف إلى ذلك أن روسيا استطاعت الاستفادة من مخزون من القنابل التقليدية التي يرجع تاريخها إلى الحقبة السوفييتية .

يقول روسلان بوخوف، مدير مركز تحليل الاستراتيجيات والتكنولوجيات، إن العملية السورية أثرت في مبيعات الأسلحة الروسية على نحو إيجابي للغاية، بإظهارها أن لدى موسكو أسلحة فعالة، وأنها قادرة على مجابهة التأثير الغربي: «أظهرت روسيا في الأساس أن لديها إرادة سياسية، وجرأة، لأن الناس في العادة لا يشترون الأسلحة من المهزومين».

وذكرت صحيفة (كومرسانت) أن (الأثر التسويقي) الناتج عن الحملة السورية قد يثمر عن عقود تصل قيمتها إلى ستة مليارات دولار أو سبعة، نقلاً عن مصادر في الحكومة الروسية والجيش ومنشآت تصدير السلاح، وأن ثمة نية لدى الجزائر وإندونيسيا وفيتنام وحتى باكستان، وهي دول اعتادت شراء الطائرات الحربية من الصين والولايات المتحدة، لشراء طائرات حربية وقاصفة، من شركة سوخوي الروسية، وفقاً لتقرير الجريدة .

ب. القوة العسكرية

دخل الجيش الروسي في مرحلة كبيرة من التراجع الحاد بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، والهزيمة القاسية التي تلقاها الجيش السوفييتي في الثمانينيات في أفغانستان، حيث انخفضت الروح المعنوية للجنود الروس، بالإضافة إلى تفاقم مشاكل التدريب والانضباط، ونقص المعدات الحديثة، ومما زاد الأمر سوءاً الفساد المستشري في الجيش الروسي، والمثال الواضح على هذا التراجع في الجيش الروسي هو الهزيمة في اجتياح جورجيا ٢٠٠٨، فعلى الرغم من صغر حجم الخصم لم تستطع روسيا هزيمته، وقد وصفت (خدمة أبحاث الكونغرس)، في أغسطس/ آب ٢٠١١، ذلك بأنه «الفشل العملي الواسع النطاق للجيش الروسي». وكان من نتائج ذلك هو إعلان وزير الدفاع الروسي، أناتولي سيرديوكوف، في أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٨، إصلاحات عسكرية كبرى واسعة النطاق، كان الهدف منها إعادة تنظيم هيكلية الجيش وتسلسله القيادي، وتقليص حجمه، وإنشاء قوة متقدمة وعصرية وكفاء، وذلك بحلول عام ٢٠٢١.

وقد أصدرت مجلة (the national interest) الأمريكية المعنية بالشؤون العسكرية، تقريراً نشرته عن حالة الجيش الروسي في عهد الرئيس فلاديمير بوتين، جاء فيه أن بوتين يجري هيكلة وإصلاحات واسعة المدى للقوات العسكرية الروسية، وأن برنامج تحديث القوة الذي أطلقه بوتين ووزير الدفاع عام ٢٠٠٨ في أعقاب الحرب الجورجية قد عزز من قدرات الجيش الروسي، في وقت كانت فيه قوات الدفاع في كثير من دول حلف شمال الأطلسي (النااتو)، والدول المتحالفة، تواجه تخفيضات في الميزانية وتقليص الأعداد، حيث إن الجيش الروسي أصبح الآن أفضل تجهيزاً، وأكثر قدرة على القيام بعمليات قتالية حديثة.

استغلت روسيا تمدد النفوذ العسكري والتحالف الأوروبي لتبرير زيادة تسليحها للجيش، وإنجاز خطوات جذرية للحفاظ على منظومتها الأمنية، فثمة سرديّة مناوئة للنظام الإقليمي تكتسب اعترافاً كبيراً داخل روسيا، فالنظام الأوروبي بعد الحرب الباردة، وفقاً للرواية التاريخية الروسية، قد بُني وفقاً للتصميم الغربي، وأنه قد فرض على موسكو إبان فترة اضمحلالها في التسعينيات، ومن ثم فممن وجهة النظر الروسية، وصلت توسعات حلف الناتو والاتحاد الأوروبي، وكذلك تطورات التعاون بين الدول الغربية وبين أجزاء الاتحاد السوفييتي السابقة المجاورة لروسيا، إلى درجة بها شيء من التعدي على المصالح الأمنية المشروعة لروسيا، وعدت موسكو الخطاب الغربي المتناول للمبادئ والقيم، التي أقيم عليها النظام الأمني الأوروبي، بمنزلة غطاء استهزائي تتسربل به المصالح الغربية، إضافة إلى

١ مريم موسى، مصدر سابق.

٢ المصدر ذاته.

أنها ترى التدخلات في كوسوفا وليبيا، ودعم ثورة الميدان الأوكرانية، بمنزلة أمثلة على النفاق الغربي³.

وزير الدفاع الروسي أعطى مبررات لروسيا لزيادة حجم تسليحها قائلاً: «يستمر الوضع العسكري والسياسي العالمي في التفاقم، خاصة في أوروبا وآسيا الوسطى والشرق الأوسط، وإننا لنلاحظ توسعاً مستمراً في حلف الناتو، فخلال مدة قصيرة نسبياً تضاعف عدد الدول الأعضاء بانضمام ١٢ دولة جديدة، في حين تستعد حالياً البوسنة والهرسك وجورجيا والجبل الأسود وأوكرانيا للانضمام إلى الكتلة، وأصبحت فنلندا والسويد وصربيا ومولدوفا في نطاق نفوذ الحلف. وخلال هذا العام وحده ازدادت قوة حلف الناتو في دول البلطيق وبولندا ورومانيا ٨ أضعاف من حيث الطائرات، و١٣ ضعفاً من حيث أعداد القوات، وحُركت إلى المنطقة ٣٠٠ دبابة وعربة مشاة قتالية، ويُجرى حالياً نشر نظام إيجيس المضاد للصواريخ في رومانيا وبولندا، وثمة ٢٠٠ قنبلة نووية جوية أمريكية تتركز حالياً في أراضي بلجيكا وهولندا وألمانيا وتركيا، وثمة خطط لتحديثها، في حين يُحتفظ بنحو ٣١٠ طائرات ناقلة على درجات متفاوتة من الاستعداد. ولتحقيق التفوق المعلوماتي لدول حلف الناتو على روسيا، فقد أُسس مركز للأمن المعلوماتي في مدينة تالين، عاصمة إستونيا، ومركز لاختبارات الدعاية الاستراتيجية بمدينة ريغا.

وتتظيم الدولة تتسع منطقة نفوذه أيضاً، وقد سيطر المسلحون على نحو ٧٠ بالمئة من الأراضي السورية، ومعظم الأراضي العراقية، ويبلغ عدد الإرهابيين نحو ٦٠ ألفاً الآن، وثمة خطر بانتشارهم في آسيا الوسطى والقوقاز»^٤.

ونتيجة لذلك فقد أُعلن ما أُطلق عليه (الشكل الجديد) للإصلاح داخل الجيش الروسي، في أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٨، وفي ٢٠١٠ كُشف عن برنامج تسليح الدولة الطموح، باهظ التكاليف، واسع النطاق، المقرر تطبيقه بين عامي ٢٠١١ و٢٠٢٠. ولتسهيل هذا التغيير، زادت ميزانية الدفاع الروسية بنسبة ٩٧ بالمئة بين عامي ٢٠٠٥ و٢٠١٤، ووضعت الحكومة الروسية خطة الإصلاح الجديدة على ثلاث مراحل، بدأتها بالإصلاحات التي كانت ستستغرق وقتاً أطول حتى تؤتي ثمارها، وكان أولها زيادة الاحترافية عن طريق إصلاح تعليم الأفراد، وتقليص عدد المجندين إجبارياً، ثم تحسين الاستعداد القتالي من خلال وضع هيكل انسيابي للقيادة، وإدخال تدريبات إضافية، ثم

3 Russia and the West, Lukasz Kulesa, Harvard International Review, January 3rd, 2017: <https://goo.gl/jlh1Rj>

4 من خطاب وزير الدفاع الروسي (سيرغي شويغو) داخل الكرملين، ديسمبر/كانون الأول 2015، الموقع الرسمي للكرملين (مترجم عن الإنجليزية): <https://goo.gl/8wA5h0>

أتت في النهاية مرحلة إعادة التسليح وتحديث المعدات.

وأدى تركيز المحللين الغربيين على مرحلة الإصلاح الخاصة بإعادة التسليح، والتي لم تكن قد اكتملت بعد، إلى إغفال نجاح المرحلتين السابقتين، اللتين منحتا روسيا جيشاً أكثر فاعلية واستعداداً قتالياً، وهو ما ظهر في تدخلها السريع والمنظم في أوكرانيا^٥.

وقد رأى عدد من المحللين العسكريين أن القوات المسلحة [الروسية] لم تخضع لمثل هذا التحول السريع منذ الثلاثينيات، أو سبعينيات القرن الثامن عشر قبل ذلك، فبين عامي ٢٠٠٥ و٢٠١٤ زاد حجم الإنفاق العسكري الروسي (من حيث نسبة الإنفاق إلى الناتج المحلي الإجمالي GDP) بنسبة ٩٧%، في حين انخفض حجم الإنفاق العسكري الأمريكي بنسبة ٤,٤% عما كان عليه عام ٢٠٠٥، ولكن- على أي حال- يظل حجم الإنفاق العسكري الروسي يمثل ٤,٨% فقط من إجمالي إنفاق باقي دول العالم، في حين يصل حجم الإنفاق الأمريكي إلى ٣٤%، على الرغم من خفض نسبة الإنفاق من الناتج المحلي الإجمالي^٧.

وعملت القيادة الروسية- وفقاً لوزير الدفاع الروسي- على حل أزمة المجندين إجبارياً التي ظهرت إبان غزو جورجيا؛ إذ أصبح «مستوى القوى البشرية ٩٢ بالمئة بعد زيادة أعداد الجنود الذين يخدمون بالتعاقد بنسبة ١٠ بالمئة، ليصل عددهم إلى ٣٥٢ ألف جندي، وهذه هي المرة الأولى التي يتخطى فيها عدد المقاتلين المحترفين عدد المجندين إجبارياً، ويتوقع أن يصل عدد المقاتلين المحترفين إلى ٣٨٤ ألف مقاتل بحلول العام القادم [٢٠١٦]»^٨.

وبنظرة إجمالية على قائمة ببعض التطويرات من واقع خطاب وزير الدفاع، نلاحظ أن روسيا نفذت خلال العامين الماضيين فقط ما يأتي:

١. أعمال صيانة للترسانة النووية (يتفق هذا مع تقرير بي بي سي حول هذه التحديثات المستمرة).

٢. تجهيز أكثر من ٩٥% من وحدات الإطلاق الموجودة في سلاح الصواريخ الاستراتيجي، على أهبة الاستعداد للقتال، وإعداد ٦ أفواج من الصواريخ للمهام القتالية، بحيث تكون

5 Gustav Gressel, Russia's Quiet Military Revolution, and What it Means for Europe, European Council on Foreign Relations, October 2015: <https://goo.gl/cMK6mw>

٦ مصدر سابق.

٧ Trends in World Military Expenditure, SIPRI Fact Sheet, 2014: <https://goo.gl/56Yhrk>

٨ من خطاب وزير الدفاع الروسي (سيرغي شويغو) داخل الكرملين، ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٥، الموقع الرسمي للكرملين (مترجم عن الإنجليزية): <https://goo.gl/wAoh>

- مجهزة بوحدات صواريخ (يارس) الثابتة والمتحركة.
٣. استقبلت القوات النووية (الجوية) ١٠ طائرات حديثة: طائرتين من الطراز Tu-١٦٠، و٣ من الطراز MC-٩٥، و٥ من الطراز Tu-٢٢M٣.
 ٤. زيادة معدات القوات البرية ذات التسليح المتطور بنسبة ٣٥%.
 ٥. إكمال سلاح جديد في القوات المسلحة الروسية: وهو (قوات الفضاء الجوي) التي ستجمع بين القوات الجوية وقوات دفاع الفضاء الجوي.
 ٦. زيادة حصة المعدات المتطورة بنسبة ٥٢% خلال عام ٢٠١٥ فقط (٢٣٤ طائرة متطورة، ٩٠ نظام صواريخ مضاداً للطائرات، و ٢٠٨ أنظمة رادار).
 ٧. زيادة عدد الطائرات من دون طيار من ١٨٠ طائرة في ٢٠١١، إلى ١٧٢٠ طائرة في ٢٠١٥ (وزير الدفاع يراها مستلزمة من ضروريات التدخل الروسي في سوريا).
 ٨. زيادة حصة السفن الحديثة في قوات البحرية لتصل في ٢٠١٥ إلى ٣٩ بالمئة.
 ٩. إضافة ٤٠٠٠ نظام مظلات جديد، لتصل حصة المعدات الحديثة إلى ٤١ بالمئة.
- [الحصيلة: خلال عام ٢٠١٥ وصلت نسبة المعدات الحديثة والأسلحة المتطورة في الجيش الروسي إلى نسبة ٤٧%].

ونتيجة لهذه الاستراتيجية الجديدة في التسليح، فقد اكتسبت القيادة الروسية، خلال السنوات القليلة الماضية، قدراً كافياً من الثقة بقدرات جيشها على خوض بعض المخاطر الناجمة عن نشر قواتها العسكرية في أراض أجنبية، بدءاً من «الرجال الخضر الصغار» في شبه جزيرة القرم، والاشتباكات الخفية في شرق أوكرانيا، وحتى الحملة الجوية البادية للعيان في سوريا ٩.

وعكس تقرير مهم، كتبه لواء أمريكي سابق (يميني التوجه) في واشنطن بوست، صورة التسلح الروسية في أذهان اليمين الأمريكي، جاء فيه: «في نوفمبر/تشرين الثاني، أثناء زيارتي لمقرات الجيش الأمريكي داخل أوروبا، تلقيت نبذة مختصرة عن أداء الجيش الروسي في أوكرانيا، وهناك - وبلهجة روتينية - وقف الشاب، مقدم النبذة الاستخباراتية، يقرأ علينا تفاصيل معركة زيلينوبيليا في يوليو/تموز ٢٠١٤، والتي كادت فيها ضربة واحدة من المدفعية الروسية أن تدمر كتيبتين آليتين أوكرانيتين بالكامل في بضعة دقائق، قلت وقتئذ: أتعلمون يا رفاق، هذه هي المرة الأولى منذ بدء الحرب الباردة التي يتفوق فيها جيش أجنبي على الجيش الأمريكي في أداء وظيفة قتالية. ومن المؤسف ضياع كل ذخائر راجمات الصواريخ الأمريكية، والملايين من القذائف والرؤوس الحربية، التي

دمرتها الإدارتان السابقتان قرباناً لآلهة اللياقة السياسية، فلقد وافقتا على التخلي عن جميع أسلحة الذخائر الصغيرة بعدما وقعت دولٌ أخرى- لم يكن لديها راجماتنا المميزة- على اتفاقية حظر مثل تلك الأسلحة؛ لأنها تنتج الكثير من الذخائر عديمة المفعول التي تبقى على أرض المعركة وتعرض حياة المدنيين للخطر»^{١٠}.

مقتبس هام آخر من حوار الجنرال بن هودجز (قائد القوات الأمريكية في أوروبا) في تعليقه على أداء روسيا في تدخلاتها الأخيرة: «إن أكثر ما يثير قلقي هو حرية التحرك، فالروس الآن قادرون على تحريك تشكيلات ضخمة، وكثير من المعدات، مسافات طويلة وبسرعة كبيرة، الناتو يحتاج هذه السرعة أيضاً داخل نطاق الدول الأعضاء. لم يحدث منذ زمن بعيد أن يثير تحرك عدو في السماء قلق الجنود الأمريكيين، هم الآن قادرون على رؤيتنا بنفس الحرية التي كنا نتمتع بها إزاء الآخرين»^{١١}.

من المؤكد أن الوضع- كما يبدو من حديث الجنرالين العسكريين الأمريكيين- يختلف تماماً على الأقل بالمقارنة بالفترة إبان غزو جورجيا عام ٢٠٠٨، حيث كانت القوات الروسية بطيئة في التعبئة والانتشار في مسرح العمليات، وكانت القوات الآتية من كتائب مختلفة تحتاج إلى التنسيق بينها قبل بدء الغزو، وكان ذلك من خلال إجراء مناورات في شمال القوقاز، لأن القوات الروسية اعتمدت على التعبئة لملء الصفوف، في حين ظلت بعض الأفواج دون أطقم مقاتليها، وشكل المجندون (إجبارياً)، بقلة خبرتهم، وثرثرتهم، معضلة أمنية داخل الجيش الروسي، واضطر الجيش الروسي إلى الاعتماد على تفوقه العددي بدلاً من كفاءة عمله، وثبت للمراقبين صعوبة التنسيق بين الأسلحة المختلفة داخل الجيش الروسي، وكان التخطيط التكتيكي والعملياتي ضعيفاً وجامداً، وكان الوعي بالموقف ضعيفاً أيضاً، وهو ما أسفر عن وقوع العديد من الحوادث الناتجة عن نيران صديقة، وفشلت روسيا في استغلال ميزة تفوقها الجوي، وكانت خطوط الإمداد لديها مبعثرة للغاية^{١٢}.

٣. محددات السياسة الداخلية في روسيا

وللتطرق إلى أهم اللاعبين في السياسة الروسية داخلياً وخارجياً، ومدى التشابك بينهم، يجب الإشارة إلى محددات السياسة الداخلية، حيث إن لها دوراً هاماً في صياغة التوجهات الروسية وسياساتها الخارجية، ثم طبيعة العلاقات والتحالفات الروسية مع أهم القوى على الساحة الدولية الحالية ومدى تطورها، إذ إن لروسيا- مثلها مثل باقي دول العالم- محدداتها

10 Robert H. Scales, Russia's superior new weapons, Washington Post, August 5th, 2016: <https://goo.gl/542Lvg>

11 Press Briefing by General Hodges on Operation Atlantic Resolve, U.S. Department of Defense, Dec. 9, 2015: <https://goo.gl/boMm3r>

12 Russia's Quiet Military Revolution, and What it Means for Europe, Gustav Gressel, European Council on Foreign Relations, October 2015: <https://goo.gl/cMK6mw>

الداخلية التي تسهم على نحوٍ ما في صناعة القرار السياسي، سواء على المستوى الداخلي أو على المستوى الخارجي، لما لها من دور هام في صياغة التوجهات الروسية.

أولاً: المؤسسات الرسمية

السلطة التشريعية: تعد الجمعية الفيدرالية (البرلمان) أعلى سلطة تمثيلية وتشريعية في الدولة، وتتكون من:

مجلس الفيدرالية: ويضم في عضويته ١٧٨ شخصاً، يمثلون جميع الوحدات الإدارية الأساسية.

المجلس الأدنى (الدوما): يتكون من ٤٥٠ نائباً، وهو المسؤول عن الموافقة على تعيينات الرئيس لرئاسة الوزراء، ورئاسة البنك المركزي.

السلطة التنفيذية:

رئيس الدولة.

الجهاز التنفيذي.

الجيش.

وزارة الخارجية.

ثانياً: المؤسسات غير الرسمية

الكنيسة: يتجلى تأثير الكنيسة الأرثوذكسية على الرئيس بوتين بوضوح، فهو يعدها شريكاً طبيعياً للسلطة السياسية، خاصة بعد اضطهادها خلال الحقبة السوفييتية.

النخبة السياسية: ولها دور محوري في توجيه السياسة الروسية، حيث اعتمد بوتين في تثبيت أركان حكمه على مجموعة من رجال الدولة المنتمين للمؤسسات الأمنية عرفت باسم (سيولوفيكس)، وهي تؤمن بسياسة مناوأة الغرب، في المقابل هناك نخبة أخرى مدفوعة بقاعدة رجال الاقتصاد والقانون عرفت باسم (سيفيلكي)، ويمثلها ميدفيدف، وتؤمن بسياسة الانفتاح على الغرب والتطوير الاقتصادي^{١٣}.

٤. أي سياسات تحكم العلاقات الغربية والأمريكية- الروسية؟

على خلاف الاعتقاد الشائع، فإن الحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة لم تبدأ عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، إذ بقيت أربع دول منتصرة تسيطر
١٣ السياسة الخارجية الروسية تجاه الأزمة السورية في الفترة ٢٠١١-٢٠١٦،
المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، متاح على
الرابط التالي:

<http://democraticac.de/?p=33933>

على المجال السياسي الدولي عقداً كاملاً بعد الحرب، ولم تبدأ الحرب الباردة حقاً إلا عام ١٩٥٦؛ حين استطاع البلدان تقليل الدور البريطاني والفرنسي وجعله دوراً إقليمياً فقط، وعلى الرغم من الخطاب المشاكس بينهما، فإن البلدين ظلّا يعملان معاً على تفكيك الإمبراطوريتين الفرنسية والبريطانية، ولم يدخلوا في مواجهة عسكرية-استراتيجية مباشرة معاً إلا بعد أزمة السويس ١٩٥٦، حين لم تعد هناك أي قوى عظمى أخرى تتوسط بينهما ١٤.

لكن البلدين لم تكن لديهما أي أسباب سياسية للمواجهة المباشرة، ولم يكن بإمكان أي منهما أن تحل محل زعامة الأخرى للعالم الرأسمالي أو الاشتراكي، وكان أي صراع بينهما سيؤدي إلى انهيار النظام العالمي الذي أُسس بعد مؤتمر يالطا، ومن ذلك الأمم المتحدة. ولو كان حدث مثل ذلك الصراع لانتهى المطاف بالمنتصر منهما وفي حوزته إقليم محدود يتطلب تكاليف باهظة لإعادة إعمارها، ولم يكن الأمر يستحق التضحية بالموارد النادرة التي أنقذت بصعوبة بالغة بعد الحرب العالمية الثانية.

وقد ضاعف من غياب الدوافع السياسية نقص الإمكانيات التقنية لخوض الحرب، إذ لم تستطع أي قوة عظمى من القوتين الواقعتين في نصفين مختلفين من الكرة الأرضية، أن تسيطر على أراضي الأخرى، ولم يكن لدى أي منهما التفوق اللازم لإثخان الأخرى أو الانتصار عليها في صراع إقليمي كبير، وكانت ستؤول أي حرب مباشرة إلى مجرد ضربات نووية متبادلة وغير رشيدة، لا تتمخض عن أي مكاسب سياسية، ومن حسن الحظ أنه لم يكن هناك متطرفون مستعدون للمخاطرة بأي شيء من أجل الانتصار في معركة آخر الزمان، بل ولم تكن أيديولوجية الأمريكيين أو السوفييت متشددة تجاه الأخرى، بل كانتا أيديولوجيتين تنافسيتين بين الشيوعية والليبرالية، وكان هذا يعني أولاً أن كلا منهما قد اعترف بالآخر بصفته نداً متساوياً في الأهمية، وأن كلا البلدين كانا جاهزين للعب وفقاً للقواعد، وأن المنافسة كانت تعني أن للخصم تجربة إيجابية يجب استلهاها أو التفوق عليها، وراهن كل طرف على انتصار أيديولوجيته في المستقبل البعيد، وهو ما أضفى الشرعية على الحوار بينهما، ولذلك لم تأت نظرية التقارب المعروفة في الستينيات من الفراغ، إذ كان متجذراً في عقول النخب الأمريكية والسوفييتية أن كل بلد منهما سيستعير من الآخر أفضل ممارساته ١٥.

ثم أدى انهيار الاتحاد السوفييتي إلى تغيير في النظام الدولي، إذ كان يمثل قطباً موازناً للولايات المتحدة، ثم ظهرت روسيا الاتحادية بصفتها دولة تلي الولايات المتحدة في قدراتها العسكرية، أما من الناحية الاقتصادية فإن الوضع الجديد للنظام الدولي يضم أقطاباً متعددة ذات قدرات اقتصادية هائلة، مثل أوروبا واليابان والصين ودول شرق آسيا، وأصبحت

14 Alexey Fenenko, *Worse Than During the Cold War, RUSSIA IN GLOBAL AFFAIRS*, Mar. 30th, 2016: <https://goo.gl/93fCcy>

Ibid.

الاعتبارات والمصالح الاقتصادية هي الحاكمة للاستراتيجية الروسية، وبذلك أصبح العالم عالماً أقل أيديولوجية وأكثر واقعية، حيث اتسم النظام الدولي الجديد بسقوط الماركسية كأيديولوجية ونظام حكم في دول الاتحاد السوفييتي، وتبنى الأيديولوجية الليبرالية الغربية بشقيها السياسي والاقتصادي^{١٦}.

شهدت السياسة الروسية تحولاً جذرياً في تعاملها مع الولايات المتحدة، حيث كان الرئيس بوريس يلتسن يتبنى وجهة جديدة تماماً قوامها أن روسيا شريك لأمريكا، وليست عدواً، ويبدو أن السبب الأساسي لموقف يلتسن هو إعادة بناء الاقتصاد الروسي المنهار من خلال الدعم الاقتصادي الأمريكي والأوروبي، ومن هنا، فإن علاقات روسيا بالولايات المتحدة لم تتعد حدود العلاقات السياسية الودية لإنهاء مظاهر الحرب الباردة أساساً، ولم تصبح الولايات المتحدة أحد الشركاء الاقتصاديين الرئيسيين لروسيا، إذ إن حجم التبادل التجاري بين روسيا والولايات المتحدة ظل محدوداً.

ومنذ عام ٢٠٠٠ شهدت العلاقات الروسية الأمريكية تحولاً جديداً، اقترن بنوعية القيادة أو الزعامة في كلا الطرفين، وذلك بعد انتخاب الرئيس بوتين رئيساً لروسيا، حيث كان في مقدمة سياساته التغيير من الداخل، وتخفيض الاعتماد - قدر المستطاع - على الخارج، وقد أعلن بوتين أن روسيا لا يمكنها استعادة مكانتها بصفتها قوة كبرى، والحفاظ على استقلال قراراتها الداخلية والخارجية، ما دامت معتمدة على ما تتلقاه من مساعدات خارجية، مشيراً إلى أن غنى روسيا من المواد الأولية لا بد من أن يمكنها من تجاوز الأزمة الاقتصادية التي أنهكتها، إضافة إلى عوائد تجارة السلاح وقطاع الطاقة، وهما أهم دعائم الاقتصاد الروسي. وبهذا تحولت العلاقات الروسية الأمريكية إلى علاقات أقرب إلى التنافس والصراع^{١٧}.

وتسعى روسيا تحت قيادة بوتين إلى استعادة جانب من دورها ونفوذها الدولي، الذي فقدته إثر انهيار الاتحاد السوفييتي، وتحاول الاستفادة من عدم الرغبة الأمريكية في التدخل المباشر في صراعات المنطقة، غير أنها تعلم أنه من الصعب تجاوز الخطوط الحمراء الأمريكية، التي ترى في الشرق الأوسط منطقة لنفوذها، وما زال سقف تدخلها في سورية وغيرها مراعيًا لهذه الخطوط، وفي هذا الإطار تتسج روسيا علاقاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية مع إيران، وتركيا، والعراق، ومصر، وغيرها، ومن المحتمل أن يتطور الدور الروسي ضمن أفضل ما يستطيع الروس تحقيقه.

وعلى الرغم مما أبداه الرئيس الأمريكي المنتخب ترامب من رغبة في التعاون مع روسيا،

16 المصدر السابق.

17 السياسة الخارجية الروسية تجاه الأزمة السورية في الفترة (2011-2016)

مصدر سابق، (2016).

فإن قاعدته الانتخابية الجمهورية قد تنجح إلى دفعه ليكون أكثر تشدداً بما يظهر قوة أمريكا وقدرتها على فرض سياساتها¹⁸.

يرى بعض المحللين أن الأزمة بين الولايات المتحدة وروسيا تدخل مرحلة تاريخية أشد خطورة مما كان إبان الحرب الباردة، وستصبح احتمالية نشوب صراع مسلح بين الولايات المتحدة وروسيا خلال العقد القادم أكثر رجحاناً مما كانت عليه أثناء أزمة استقطابهما خلال الحرب الباردة على عكس الماضي، فإن الصدمات العسكرية-السياسية المعاصرة لم تعد تحفز الكرملين والبيت الأبيض على بدء مفاوضاتهما، والعمل على وضع آلية للحد من التهديدات العسكرية، بل على النقيض أصبح البلدان يضعان حوارهما الاستراتيجي جانباً، ويفككان النظام الأمني داخل الاتحاد الأوروبي، ويستعرض كل منهما قوته بالقرب من قوات الآخر. ويتشابه هذا النموذج مع نموذج العلاقات بين بلدان الاتحاد الأوروبي في أواخر القرن التاسع عشر، وهو ما لم يساعد في درء النزاعات حيثئذ، وإنما عجل من نشوبها¹⁹، لكن واقعياً وعملياً فإن روسيا ليست على وشك الدخول في حرب مع أمريكا، ولغة خطابها في معظمها مجرد جعجعة، ولكنها تشكل خطراً على النظام الأمني العالمي واستقراره، والخطوة الأولى للتجاوب مع هذا التهديد تكمن في فهم أن العداء الروسي ليس علامة على طفرة جديدة، وإنما علامة على ضعف مزمن ومنهك²⁰.

يقدم لوкас كوليسه (مدير الأبحاث بمؤسسة The European Leadership Network) في مقاله بمجلة (Harvard International Review) رؤية لطبيعة هذه السياسات في سياق سرده للأزمة الأوكرانية، قائلاً: «من المهم أن نعود بالذاكرة إلى أحداث مطلع عام 2014 لنذكر أنفسنا بالسبب الذي جعل الغرب يجد نفسه في مواجهة مع روسيا، التي ضمت شبه جزيرة القرم الأوكرانية في مارس/آذار 2014، واتهامها بدعم الانفصاليين في شرق أوكرانيا، ونشر جنود لها في داخل البلاد، إذ يبقى الدعم الروسي لقوات التمرد المحلية في شرق أوكرانيا هو السبب الرئيسي لإطالة الصراع حتى يومنا هذا».

وقد تضمنت ردود الفعل الغربية على هذه الممارسات الروسية استحداث مجموعة من العقوبات والقيود الكبيرة التي فرضت في مجال القضايا المتعلقة بالأمن، وكذلك التدابير المتخذة من بعض البلدان ومن حلف الناتو لكبح جماح روسيا، بل إن الاتحاد الأوروبي

18 آفاق الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ديسمبر/كانون الأول 2016، متاح على الرابط التالي: goo.gl/S217b7

19 المصدر السابق.

20 The Threat from Russia, The Economist, Oct. 22nd, 2016: <https://goo.gl/nQzrrm>

أيضاً، الذي عادة ما يعد لاجعاً ضعيفاً في مجال الأمن، لم يكتفِ بالعقوبات الاقتصادية، وبدأ بتعزيز مرونته في مواجهة ما يُطلق عليها اسم (التحديات المختلطة)، التي تشمل تلك التحديات القادمة من روسيا، وعلى الرغم من انتقاد الموقف الغربي بوصفه أضعف من المطلوب، أو أقل كفاية من اللازم، إزاء هذا التحدي، فإنه قد شكل ابتعاداً ملحوظاً عن منهج (البزنس أولاً)، الذي لطالما حكم العلاقة مع روسيا قبل أزمة شبه جزيرة القرم ٢٠١٤.

٥- خريطة التحالفات الجديدة لموسكو وتأثيرها في منطقة الشرق الأوسط

يركز هذا الجزء بالأساس على شكل العلاقات بين الدول المحورية والرئيسية بالمنطقة وعلاقتها بروسيا، وهل هناك حلفاء دائمون في الشرق الأوسط لروسيا، مثل إسرائيل بالنسبة إلى الولايات المتحدة، أم أنها تحالفات وليدة الموقف؟

أولاً: العلاقات الروسية التركية

بنظرة سريعة على شكل العلاقات بين الدول المحورية والرئيسية بالمنطقة وعلاقتها بروسيا نلاحظ أن أنقرة كانت هي الشريك التاريخي لروسيا في المنطقة لربع قرن أعقب الحرب الباردة، بجانب طهران، ولكن تغير كل ذلك على نحو مفاجئ بعد الثورة السورية، وتبني كلٍ منهما وجهة نظر مختلفة فيما يخص النظام السوري بقيادة بشار الأسد وحزب البعث، وزادت الأمور بينهما حدة في نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٥ حين أسقطت تركيا طائرة حربية روسية فوق الحدود السورية، وهو ما دفع موسكو لفرض عقوبات اقتصادية عليها.

استطاعت الدولتان تجاوز أزمة إسقاط الطائرة الروسية والمضي في التعاون الاقتصادي على الرغم من الخلافات السياسية الجوهرية بين البلدين فيما يتعلق بسورية، لكن تعامل الطرفين ببرجماتية عالية أدى إلى تطور على الأرض أيضاً، فعلى مدى سنوات كانت أنقرة تسوّق لمشروعها القاضي بإيجاد منطقة آمنة على حدودها مع سورية، وهو ما كانت ترفضه واشنطن، لكن بعد التفاهم مع الروس تمكن الأتراك من التوغل في الأراضي السورية، وفرض أمر واقع جديد في مواجهة القوات الكردية، غير أن العنوان الأبرز للعلاقات الروسية التركية هو الاقتصاد، خصوصاً في مجالات الطاقة، والغاز، والزراعة، والبناء ٢٢.

ويرى بعض المعلقين أن المفتاح لمواجهة السياسة الروسية الجديدة تعزيز التنسيق الأمريكي التركي وتكثيفه في مواجهة روسيا، ليس فقط في سورية، بل أيضاً حيث تتقاطع مصالحهما

21 Lukasz Kulesa, Russia and the West, Harvard International Review, January 3rd, 2017: <https://goo.gl/jlh1Rj>

22 آفاق الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط، مصدر سابق.

ضد النفوذ الروسي في أرمينيا وجورجيا وأذربيجان، ولا سيما بسبب حاجة تركيا إلى تنويع مصادر الطاقة، وحاجتها إلى وجود دول مستقلة عن الإرادة الروسية في تلك المنطقة. ويتطلب ذلك تغييراً في السياسة الأمريكية تجاه تركيا، وتغييراً في السياسة التركية بالتوجه شرقاً والاهتمام أكثر بعلاقاتها مع الغرب، ولا سيما مع الولايات المتحدة. ويذكر هؤلاء أنه حين وقعت أستونيا ولاتفيا تحت ضغط روسي قبل عام، جمع الناتو كل قواه ومصادره السياسية لدعم أمن هاتين الدولتين، فتوقفت الاستفزازات الروسية الجوية في أجوائهما، وتتوقع تركيا ما لا يقل عن ذلك؛ لأنها الدولة الأكثر تأثراً بالتدخل الروسي والأعمال الحربية إلى جانب حدودها ٢٣.

ثانياً: العلاقات الروسية الصينية

بدأت العلاقات الروسية-الصينية بالازدهار في أعقاب الخلاف الروسي-الأوكراني، حيث كانت روسيا في حاجة إلى حليف استراتيجي قوي لموازنة علاقاتها مع الغرب، في ظل أزمته الاقتصادية، وقد أسهمت عدة عوامل في حدوث ذلك، مثل: التقارب الجغرافي، وتحول الصين من دولة استثمارية إلى دولة استهلاكية، وتمائل أنظمة الحكم. لكن هناك مجموعة من العوامل قد تعكر صفو هذه العلاقة؛ فبينما تسعى روسيا إلى علاقة تقوم على الندية مع الغرب، فإن الصين تتبنى استراتيجية أكثر براجماتية، فضلاً عن أن الثقافة الروسية لا تزال أكثر ارتباطاً بالغرب، أما من الناحية الفكرية فقد تحتاج كل من الدولتين إلى مدة لا بأس بها لفهم الأخرى ٢٤.

ثالثاً: العلاقات الروسية الإيرانية

لروسيا علاقات وثيقة جداً مع إيران، على مختلف المستويات، على الرغم من وجود ثغرات في الثقة المتبادلة بينهما، فالتدخل الروسي في سورية ما كان ليتم لولا الغطاء البري من إيران والقوات المتحالفة معها. وعلى الرغم من تشابك المصالح بين الدولتين، فإن هناك جواً من الحذر في التعامل بينهما، فإيران من مصلحتها مزيد من الانخراط الروسي في المعارك في سورية، في حين تحرص روسيا على الاكتفاء بالضربات الجوية وعمليات القوات الخاصة، لكن مستوى مقبولاً من التناغم قائمٌ بينهما فيما يتعلق بالأزمة السورية، وفيما يتعلق بمواجهة السياسة الأمريكية.

عزمي بشارة، روسيا: الجيوستراتيجية فوق الأيديولوجيا وفوق كل شيء، 23
سياسات عربية، عدد نوفمبر/تشرين الثاني 2015، متاح على الرابط التالي:
<http://bit.ly/2qwqzS0>

عسكرة متصاعدة: مستقبل قوة روسيا في العالم بحلول عام 2025، 24
سبتمبر/أيلول 2016، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، متاح على
الرابط التالي:
<http://bit.ly/2pYoVG0>

وقد أظهرت روسيا قدراً كبيراً من القدرة على التفاهم مع إيران، على الرغم من تصويتها في مجلس الأمن تأييداً لفرض عقوبات على إيران بسبب برنامجها النووي، لأنها تتعامل مع هذه المسألة وفق محددتين؛ أولهما: تأييد حق إيران في امتلاك تكنولوجيا نووية للاستخدامات السلمية، وثانيهما: رفض امتلاك إيران أسلحة نووية^{٢٥}.

وتعتمد الولايات المتحدة الأمريكية على مواصلة الحرب الدعائية ضد القوات الروسية في سورية؛ من أجل إقناع إيران بأن الخطط الروسية لا تتماشى مع الاستراتيجيات الإيرانية، وكثيراً ما خرجت تصريحات غربية تؤكد أن روسيا لا تستهدف تنظيم الدولة وجبهة النصرة، بل توجه ضرباتها لتشكيلات أخرى، من بينها الجيش السوري الحر، وعليه؛ تفقد إيران عوامل تكيفها مع التدخل الروسي الحربي في الأزمة.

وتمثل روسيا مصدراً أساسياً للتسلح لدى إيران، إلا أنها امتنعت مؤخراً عن تسليم صفقة نظام دفاعي جوي- تم شراؤها بالفعل- كجزء من اتفاق أبرم مع واشنطن استجابة للضغوط الإسرائيلية.

عليه؛ يمكن القول إن لأنقرة وواشنطن دورين مهمين في تعميق الاختلاف الروسي الإيراني، الذي يندرج بالتحول إلى خلاف، خاصة بعد أن أدركت طهران في الوقت ذاته أن التدخل العسكري لروسيا في الأزمة السورية أظهرها أمام اللاعبين الدوليين والإقليميين على أنها طرف أقل أهمية مما قبل التدخل الروسي العسكري في الأزمة^{٢٦}.

رابعاً: العلاقات الروسية السعودية

تعد علاقة روسيا بالسعوديين علاقة تاريخية متوترة؛ فمن الناحية الاقتصادية، هما متنافسان رئيسيان في سوق النفط، ولم تكن لديهما أي اتصالات دبلوماسية إبان الحرب الباردة، وخلال تدخل الاتحاد السوفييتي في أفغانستان كانت السعودية واحدة من المتبرعين الأساسيين للمجاهدين، وحتى عندما انتهت المواجهة ظلت هواجس الروس إزاء الدور التمويلي السعودي في أسلمة الدول السوفييتية المنفصلة عن الاتحاد وانتشار (الأيدولوجية الوهابية) بينهما، وتتمثل نقطة خلافهما الرئيسية حالياً في الأزمة السورية، ولكن هذا لا ينفي زيادة الاتصالات بينهما مؤخراً أكثر من أي وقت مضى، فقد أبدى الطرفان قدراً من البرجماتية في التعامل مع خلافاتهما، وفي الاستفادة من نقاط الالتقاء المشترك بينهما، مثل موقفهما الداعم لحكومة عبد الفتاح السيسي في مصر، ورغبتهما المشتركة في استقرار أسعار النفط ودفعها إلى الزيادة، وتحرص السعودية على الاتصال بروسيا في إطار تنويع

25 المصدر السابق.

26 انعكاسات التدخل الروسي على دور إيران في سوريا، مجلة السياسة الدولية،

عدد 204، متاح على الرابط التالي:

goo.gl/s39koK

اتصالات سياستها الخارجية لتجنب الاعتماد الزائد على الولايات المتحدة.

من المؤكد أن من مصلحة السعودية انتهاج سياسة التتويج في العلاقات الخارجية، لذلك من المتوقع استمرار الاتصالات بين الجانبين ٢٧، ولكن ضعف الثقة المتجددة بين الطرفين تحول دون أي تقارب كبير بينهما، وتمارس إيران دوراً أيضاً في الحد من تقاربهما، ولكن إيران لا تزال تسعى لتسويق صناعاتها العسكرية بين الدول الخليجية التي لا تعد إيران مصدراً لتهديدها.

خامساً: العلاقات الروسية المصرية

كانت مصر، من منتصف الخمسينيات وحتى عام ١٩٧٢، تمثل الدعامة الأساسية للتركيبة الجيوسياسية للاتحاد السوفييتي في الشرق الأوسط، لكن العلاقة توترت بعد وصول السادات إلى السلطة، ثم توترت أكثر بعد دعم الأخير لأفغانستان في الحرب ضد الاتحاد السوفييتي السابق.

مؤخراً توطدت العلاقة كثيراً بعد تقلد السيسي للسلطة، الذي يعده بوتين الخيار الوحيد القادر على جلب قدر يسير من الاستقرار لأكبر بلد عربي، كما استأنفت مصر شراء الأسلحة من روسيا، بأموال سعودية، وحتى التراخي الأمني في مطار شرم الشيخ، الذي أدى إلى تفجير طائرة ركاب روسية فوق سيناء (أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٥)، لم يمس دفاء العلاقة، وحتى حين أصدرت روسيا تحذيراً لرعاياها بأن يتجنبوا السفر إلى مصر، يظل متوقعاً أن يُرفع هذا الحظر سريعاً بمجرد أن ترضى موسكو عن التدابير الأمنية المتخذة في المطارات المصرية.

وتشعر الحكومة الحالية في مصر، التي يدعمها الجيش، وحلفاؤها الرئيسيون بالخليج، بخيانة واضحة: فالبيت الأبيض برئاسة أوباما لم يقدم شيئاً لمنع الإطاحة بمبارك، الذي كان عميلاً وفتياً للولايات المتحدة، عام ٢٠١١، وعندما أسقط الجيش الرئيس محمد مرسي وجماعة الإخوان المسلمين، ومنعت واشنطن جزءاً من المعونة الأمريكية العسكرية السنوية المصونة عادةً، والتي تبلغ ١,٣ مليار دولار أمريكي، وهي جزء متمم لمعاهدة السلام في عام ١٩٧٩ بين مصر وإسرائيل.

وإسرائيل نفسها، التي تعد حالياً قوة تحتفظ بالحق في تغيير وضع المنطقة الراهن، لم تكن أيضاً سعيدة؛ فقد شهدت نهاية الأنظمة السلطوية التي كبحت جماح الكراهية الشعبية تجاه سياساتها، أو كما يصفها استراتيجي إسرائيلي بعد سقوط مبارك: «لقد انهار هيكلنا التحليلي بأكمله»^{٢٨}.

٢٧ أفاق الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط، مصدر سابق.

28 Russia cannot replace America in the Middle East, David Gardener, Financial Times, November 20th, 2013:

يبدو هذا متسقاً مع خطاب رموز القوى القديمة في مصر، فكثيراً ما تتردد عبارات تعكس انعدام ثقة الأنظمة العربية بمساندة الولايات المتحدة لها، خاصة عند لحظات الغضب الشعبي، ويبدو أن روسيا، بتحمسها الكامل لخوض معركة في سورية من أجل نظام حليف، تحاول تقديم نفسها لهذه الأنظمة بوصفها حليفاً يمكن الثقة به، بل وتبرز قناة روسيا اليوم-الناطقة باسم المصالح الروسية في المنطقة- عبارة ينقلها محمد أبو الغيط عن مبارك تعزز المعنى ذاته ٢٩.

وبالنسبة إلى الصناعة العسكرية الروسية، فثمة عملاء مهمون في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وقد شكلوا، في عام ٢٠١٥، نحو ٣٦ بالمئة من مجموع الصفقات العسكرية التي سلمتها روسيا، ليكونوا في المرتبة الثانية بعد العملاء الآسيويين (٤٢ بالمئة). ولطالما كانت الجزائر ومصر وإيران والعراق وسوريا عملاء موسكو الرئيسيين في شراء السلاح لعقود. ويأمل صناع السلاح الروس أن يساهم أداء الأسلحة الروسية في الحرب السورية، بالإضافة إلى دعم بوتين الثابت لحليفه في دمشق، في تعزيز سمعة منتجاتهم في المنطقة، وجذب عملاء جدد، خاصة من دول الخليج.

وروسيا أيضاً هي المورد الرئيسي للقمح إلى مصر، وحتى عام ٢٠١٥ كان يذهب عدة ملايين من السياح الروس سنوياً لقضاء العطلة في تركيا ومصر، ويستهدف الروس التعاون التكنولوجي مع إسرائيل، وهي دولة ينعمون بالسفر إليها دون تأشيرة ٣٠.

سادساً: العلاقات الروسية الإسرائيلية

يشكل الناطقون بالروسية في دولة الاحتلال خمس السكان، كما أن هناك حضوراً معتبراً لليهود في روسيا، والعلاقات بين البلدين جيدة، على الرغم من أن روسيا ليست على اتفاق مطلق مع (إسرائيل)، وتتبنى حل الدولتين، وتختلف مع جهات النظر الإسرائيلية في الموقف من إيران وحزب الله وحماس، وهي من ثم تنتهج نهجاً مرناً يخالف النهج الأمريكي، الذي يعد حليفاً تقليدياً لدولة الاحتلال ٣١.

ومن الواضح أن إسرائيل تعد التدخل الروسي في سورية أفضل من استفراد إيران بالتأثير في إدارة بشار الأسد، أما الأوساط المقربة جداً من إسرائيل في الولايات المتحدة

<https://goo.gl/A9yPMu>

عبارة (المتغطي بالأمريكان عريان)، من لقاء محمد أبو الغيط مع قناة روسيا 29 اليوم، في الذكرى الثالثة لتحي مبارك عن السلطة، 11 فبراير/شباط 2014:

<https://goo.gl/QTWpCz>

30 Ibid.

31 المصدر السابق.

فمنقسمة؛ إذ نلاحظ تأييداً لروسيا يتضمن شماتة بتركيا بوصف التدخل الروسي في سورية صفقة استراتيجية لتركيا، وعقاباً لها على استراتيجيتها التي راهنت على مليشيات إسلامية متطرفة وابتعدت عن الغرب، واستسهلت فكرة سقوط الأسد، مثلما توقع أحمد داوود أوغلو، في أغسطس/آب ٢٠١٢ سقوط الأسد خلال أسابيع، ومثلما توقع أردوغان في سبتمبر/أيلول من العام نفسه.

وفي المقابل، ثمة منظرون مقربون من إسرائيل والحركة الصهيونية يؤيدون سياسة أمريكية أكثر فاعلية في المنطقة، ويدعون إلى تدخل عسكري ضد الأسد وضد تنظيم الدولة في الوقت ذاته، ويحذرون من الرد بلامبالاة وفتور على إرسال إيران قوات لها شرقي المتوسط، وشرعنة تدخلاتها العسكرية في دول أخرى، وشرعنة التدخل الروسي في الشرق الأوسط، ويعدونها إخفاقاً لسياسة أوباما وتقديراته لطبيعة المرحلة.

ما زال هؤلاء يرون التسليم بالتدخل الإيراني في دول أخرى كأنها دولة عظمى، خطأ فادحاً سوف يكلف الولايات المتحدة وحلفاءها ثمناً باهظاً ٣٢.

سابعاً: العلاقات الروسية السورية

تعد سوريا الشريك الاستراتيجي والتاريخي الأهم؛ وهي أحد أبرز الملفات الاستراتيجية للكرملين وأخطرها. في السبعينيات، ظهر حزب البعث، الذي هيمن عليه حافظ الأسد منذ ١٩٧٠ حتى وفاته، بوصفه الحليف الوحيد الراسخ للاتحاد السوفييتي بين الدول الكبرى في الشرق الأوسط، ولكن هذه العلاقة كانت تركز على الترابط الاستراتيجي بينهما أكثر من ارتكازها على الأيديولوجيا، وكان كل طرف منهما يسعى وراء مكاسبه الخاصة، وكان السوفييت يمدون سوريا بالسلاح والخبراء العسكريين، في نفس الوقت الذي يحاولون فيه تجاهل الحظر الذي فرضه حزب البعث على الحزب الشيوعي السوري.

الحقيقة أنه لم يكن هناك تقارب نفسي بين دمشق وموسكو، واضطر الطرفان كثيراً إلى تجاوز تشككهما المتبادل، ويتجلى هذا التوتر بوضوح في الوثائق التجسسية السوفييتية الواردة في أرشيف ميتروخين، التي سُربت إلى الغرب ونُشرت، ولقد حققت المخابرات السوفييتية اختراقاً بارزاً لمجتمع المخابرات والسلك الدبلوماسي الخاص بحزب البعث، فعلى سبيل المثال أصبح أحد الدبلوماسيين الكبار الذين جندتهم المخابرات السوفييتية مديراً عاماً لوزارة الخارجية السورية في مطلع السبعينيات، بل وعلمت موسكو ما يدور في خلد الزعيم السوري نفسه بعدما تمكنت من التنصت على شقته في أثناء زيارته لموسكو، واخترقت السفارة السورية بموسكو بالكامل، ولهذا علمت روسيا مبكراً بتردد حافظ الأسد في إلزام نفسه بمعاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفييتي.

روسيا: الجيوستراتيجية فوق الأيديولوجيا وفوق كل شيء، مصدر سابق. 32

وكانت هناك خلافات جديّة من وقت لآخر بين الطرفين، أحدها كان في يونيو/حزيران ١٩٧٦ حينما تدخلت سوريا في الحرب الأهلية اللبنانية إلى جانب المسيحيين الموارنة ضد منظمة التحرير الفلسطينية والمعارضة اليسارية، وكانت للمخابرات السوفييتية اتصالات وثيقة ببعض هؤلاء اليسار، وقدمت تمويلاً سرياً للحزب الشيوعي اللبناني الذي عارض التدخل السوري، وفي هذا العام طرد حافظ الأسد نصف الخبراء السوفييت المقيمين بسوريا (الذين كانوا موجودين في سوريا أكثر من أي بلد آخر في العالم وقتئذ)، بل وأصدر تعليماته للبحرية السوفييتية بسحب غواصاتها وطاقم الدعم الخاص بها من ميناء طرطوس، ولكن سرعان ما ترممت العلاقة لاحقاً، ولكنها بقيت غير مطمئنة، ولطالما عززت موسكو اتصالاتها السرية بالحزب الشيوعي السوري، وحين حدث أن وقع الطرفان على اتفاقية الصداقة (أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٠)، ظلا مختلفين حول تفسير تعهداتها، وربما يفسر هذا سبب موقف روسيا الخاذل للنظام البعثي حين سأله العون إبان العديد من الأزمات الإقليمية التي شهدتها الثمانينيات.

ولا يمكن اعتبار ضخامة عدد الخبراء السوفييت في سوريا دليلاً على اهتمام سوري بالأيديولوجية السوفييتية بقدر ما تعكس انجذاب دمشق إلى الخبرة التقنية الروسية وأسلحتها، ولذلك فقد كانت علاقة تركز على النفعية أكثر من الهوية السوفييتية.

ومع ذلك فقد قدرت أعداد الضباط السوريين الذين يتلقون تدريباً في الأكاديميات العسكرية الروسية والسوفييتية بنحو ١٠ آلاف ضابط عام ٢٠٠٦، وقدرت أعداد الخبراء العسكريين الروس في الجيش السوري بنحو ألفي خبير في العام نفسه، وعلى الرغم من ادعاء روسيا أن المتبقين من هؤلاء الخبراء يعملون داخل المنشآت البحرية بطرطوس، فإن بعض التقارير الإعلامية الغربية، في ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٢، تؤكد أن هؤلاء الخبراء يديرون واحداً من أرقى أنظمة الدفاع الجوي السوري (كما كانوا يفعلون أثناء الحرب الباردة)، وهو ما يمثل عقبة كبيرة أمام أي تدخل عسكري خارجي ٣٣.

الموقف الروسي من التدخل العسكري في سوريا: في البدء كان الروس غير متحمسين للتدخل؛ وقال وزير الخارجية سيرغي لافروف: «نحن لن نقاتل من أجل مواقفنا بإرسال قوة وافدة إلى الإقليم وتكرار تجربتنا في أفغانستان مجدداً» ٣٤، هذا قبل التدخل بشكل

33 Roy Allison, Russia and Syria: Explaining alignment with a regime in crisis, International Affairs 89: 4, 2013, p. 801.

34 Roy Allison, Statement by Lavrov on Rossiya 2 TV, Feb. 10th 2013 – from Russia and Syria: Explaining alignment with a regime in crisis, International Affairs 89: 4, 2013, p. 823.

اضطراري، وفقاً لوجهة النظر الروسية.

يبدو أن الإجماع يغيب عن التدخل الروسي في سوريا بعد سنوات من اندلاع الحرب، ويظهر هذا السخط في بعض الأصوات المقربة من دوائر الحكم داخل روسيا؛ فعلى موقع (جازيتا)، الذي يديره الكرملين، نشر الضابط الروسي المتقاعد (ميخائيل خودارينوك) مقالة تناقش انعدام فرص جيش بشار الأسد في الانتصار، ويحيل أسباب ذلك إلى المشكلات الهيكلية؛ من حيث المعدات، ومراكز الصيانة، ونقص الأفراد المقاتلين، نتيجة لتذبذب موقف الشباب السوري، وانضمام بعضهم لخصوم الأسد، ولجوء بعضهم الآخر إلى الخارج، بالإضافة إلى السمات السلبية للروح القتالية بين مقاتلي جيش النظام الثقيلين بهزائم تاريخية منذ حرب فلسطين، والذين يصطدمون أيضاً بخبرات جنرالات وعقداً الجيش الحر المنشقين عن الجيش النظامي، وخبرات قيادات تنظيم الدولة ذوي الأصول العراقية الذين خدموا في قوات صدام حسين.

ويشير الكاتب أيضاً إلى حجم الفساد المهيمن على جنود نقاط التفتيش (التي يقدر عددها بألفي نقطة تفتيش منتشرة بين أرجاء سوريا) الذين يعزلون عن باقي الجيش النظامي ويتفرغون لانتزاع أموال المواطنين، ولا يمارسون أي دور في العمليات الكبرى. ويختتم الخبير العسكري مقالته بقوله: «من المستحيل أن نتصر في حرب يحالفنا فيها جيش مثل جيش الأسد، ولا يمكن أن نعول كثيراً على الميليشيات أيضاً، فحزب الله والإيرانيون لديهم مصالحهم الخاصة، ولهذا السبب يبدو واضحاً أنه يجب على القيادة السياسية والجيش الروسي أن يتخذاً قراراً جذرياً بإنهاء الحملة العسكرية بسوريا قبل انتهاء عام ٢٠١٦، وسحب كل القوات، وترك القواعد العسكرية وحدها» ٢٥.

ومن الناحية العسكرية، كان التدخل الروسي في سوريا مهماً بالنسبة إلى الروس، إذ كانوا يأملون في تغيير وضعهم؛ فقد أظهروا في البداية قدرتهم على إنفاذ قوتهم بعيداً عن حدودهم الجغرافية، ثم كان تدخل موسكو مصمماً ليبدو وكأن روسيا قد أنقذت نظام الأسد، ومن ثم تبدو كأنها صاحبة قرار في المنطقة، في حين لم تكن ترغب الولايات المتحدة في إسقاط الأسد ما دام تنظيم الدولة هو المستفيد، لكن الروس، في نهاية المطاف، تمكنوا من إظهار الولايات المتحدة باعتبارها قوة مناظرة لها، وكان هذا أمراً ملحاً بالنسبة إلى الروس في الخارج والداخل أيضاً.

ثامناً: العلاقة مع العراق

35 Mikhail Khodarenok, Here's why Assad's army can't win the war in Syria .Sep. 9th 2016, appeared on Gazeta.ru, translated into English on: <https://goo.gl/g2TPzr>

نتيجة لعلاقتها الجيدة مع إيران، تحظى روسيا بعلاقات جيدة مع العراق، وتسعى إلى الحصول على صفقات في مجال التسليح والطاقة، كما أنها في الوقت نفسه على علاقات تاريخية مع الأحزاب الكردية^{٣٦}.

٦. رؤية استشرافية حول حسم الصراع بين روسيا وأمريكا ودور روسيا المتزايد دولياً يرى محللون روسيون أنه على الرغم من اعتماد الولايات المتحدة وروسيا، في ١٢ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٥، مذكرة تفاهم حول الأمن الجوي فوق سوريا، فإن أخطار الصدام بينهما لا تزال قائمة، ويمكن أن تتسبب أي من الأحداث الآتية في حدوث سيناريو سلبي:

- أن تحاول الولايات المتحدة إعلان حظر جوي على منطقة تسيطر عليها الطائرات الروسية.

- أن تثار روسيا من هجمات يشنها إرهابيون ناشطون بأراضٍ تسيطر عليها دولة حليفة للولايات المتحدة.

- أن تتصادم روسيا ودولة عضوة بحلف الناتو فتطلب الأخيرة من الولايات المتحدة مسانبتها بموجب المادة الخامسة من اتفاقية حلف شمال الأطلسي^{٣٧}.

في حين تهيمن على الإنتلجنسيا الأوروبية^{٣٨} وضع سيناريوهات لاحتمال صدام شديد في شرق أوروبا حيث إن احتماليات الصدام العسكري شرقي أوروبا هي الشاغل الأهم حالياً للفكر الأوروبي.

على المستوى العسكري الأوروبي، كانت المؤسسة الدفاعية الأوروبية واثقة من القدرة على تقييد القوات المسلحة الروسية، على الأقل من الناحية النوعية، لكن هذه الأفضلية النوعية تنطبق فقط على بضع دول أوروبية من أعضاء الناتو؛ فلدى فرنسا والمملكة المتحدة وألمانيا قوات مسلحة تتفوق على روسيا نوعياً، لكن مشاكل انتشار القوات، والاستعداد، وكميات الذخيرة، قد تضع تلك الأفضلية النوعية في موضع الشك^{٣٩}.

٣٦ آفاق الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط، مصدر سابق

٣٧ Alexey Fenenko, *Worse Than During the Cold War, RUSSIA IN GLOBAL AFFAIRS*, Mar. 30th, 2016: <https://goo.gl/93fCcy>

٣٨ الأنتلجنسيا هي كلمة بولندية الأصل، وتعني (النخبة المثقفة) طبقة اجتماعية تشارك في عمل ذهني معقد يهدف إلى توجيهه ونقد، أو لعب دور قيادي يفسح المجال لظهور ذلك المثقف الذي يقف على مسافة بعيدة من نظام قائم. ويكون أكمل تعبير عن الأنتلجنسيا بالأخص الدعوة إلى تصورات مستقبلية تبشر بنظام جديد يحل محل النظام القديم.

٣٩ Gustav Gressel, *Russia's Quiet Military Revolution*,

وتتفوق القوات البحرية الأوروبية جلياً على نظيرتها الروسية، سواء من حيث الأعداد أو الكفاءة، ولا تمتلك روسيا، باستثناء سلاح الغواصات، أداة بحرية يمكنها بها مجابهة أوروبا، وحتى سلاح الغواصات هذا لا يتعدى كونه مجرد ظل من قوتها السوفييتية البائدة. [...] ومن الأصعب تفسير التفوق النوعي للقوات الجوية الأوروبية، فالقوات الجوية الفرنسية والبريطانية وحدها هي التي ثبتت قدرتها على تأدية كامل مهامها في المعارك: بدءاً من قدرتها على تحقيق التفوق الجوي، وحتى قدرتها على تنفيذ الاعتراضات وتقديم المساندات القتالية الجوية. ولدى القوات الجوية الألمانية والإيطالية المعدات اللازمة لتنفيذ ذلك أيضاً، ولكن تظل بقية الدول الأوروبية تعاني، على المستوى المحلي، ضعفاً في إمكانياتها من شأنه حصر قواتها الجوية في أدوار معينة.

وفيما يتعلق بالقوات البرية، فإن تحقيق التوازن يبدو أكثر إشكالية، إذ تمتلك أوروبا قوات أكبر من روسيا؛ فالموازنة العسكرية لدول الناتو تبلغ ٩٥٠ مليار دولار، وموازنة روسيا العسكرية أقل من ٩٠ مليار دولار، أما القوات المسلحة فلدى الناتو ٣,٥ ملايين عسكري، ولروسيا ٧٦٦ ألف عسكري ٤٠.

ولكن ماذا عن الاستعداد والتدريب؟ فالقوات الأوروبية تتوزع بين ٢٨ دولة، وبعض أعضاء الناتو الصغار، بصورة خاصة في أوروبا الوسطى، لديهم قوات صغيرة لدرجة تحد من إمكانية تدريبهم وحدهم في مناورات حربية بالأسلحة المشتركة ٤١. ومن المتوقع أن تشكل الجغرافيا عائقاً أمام أوروبا، وميزة - في الوقت نفسه - لحساب روسيا في حال حدوث نزاع مستقبلي على حدود أوروبا الشرقية؛ فآثناء الحرب الباردة اضطر حلف الناتو إلى الدفاع عن حدود برية قصيرة نسبياً وذات عمق محدود، وآثناء الحرب الباردة، تدريب قوات الناتو بانتظام على نشر القوات والإمدادات على الحدود، ولكن أصبحت التجهيزات لمثل تلك العملية غريبة بالنسبة إلى جيل جديد من العاملين بوزارات الدفاع. بالنسبة إلى ألمانيا الغربية، فإن الأراضي التي تقع على الحدود الشرقية لأوروبا تعاني من بنية تحتية مهترئة وقديمة، ولا تزال السكك الحديدية في دول البلطيق من الطراز الروسي متباعد القضبان، وهو ما لا يتسق مع النظام المستخدم في باقي دول أوروبا، وليس هناك سوى عدد قليل من المطارات التي يمكن هبوط القوات بها.

and What it Means for Europe, European Council on Foreign Relations, October 2015: <https://goo.gl/cMK6mw>

40 قدرات الناتو على شن حرب على روسيا، متاح على الرابط التالي: goo.gl/tvQTzk

41 Gustav Gressel, Russia's Quiet Military Revolution, and What it Means for Europe, European Council on Foreign Relations, October 2015: <https://goo.gl/cMK6mw>

وتلك العثرات في البنية التحتية تجعل أي انتشار أوروبي عرضة لما يعرف باستراتيجيات إعاقة الدخول: مثل ضربات القذائف الموجهة، وأعمال التخريب. كما أن توحد روسيا يمكنها من إخفاء التجهيزات للأعمال العسكرية أو سترها بسهولة، والتظاهر بأنها تدريبات داخل الجيش الموحد، كما أنها لن تعاني من تعدد إدارات السكك الحديدية أو سلطات التحكم في المجال الجوي التي يجب التنسيق بينها جميعاً في مثل تلك المحاولة، ولذلك ستكون روسيا، في حالة صراعها مع أوروبا، أسرع بكثير في نشر قواتها ونقل القوات بين مساح عمليات مختلفة، ومداورة القوات المنتشرة في المنطقة، وإذا بدأت روسيا بالاعتداء، فستضيف تلك العوامل إلى تفوق المعتدي من حيث الاستعداد.

لم يأت افتراض مبادرة بوتين بالاعتداء من الفراغ، فكلمات بوتين: «علمتني شوارع لينينجراد شيئاً واحداً: إذا كان خوضك للمعركة أمراً حتمياً، فكن أول من يوجه الضربات»^{٤٢}، كانت هي نفسها التعبير الذي استعاره ديمتري كيسيليوف، الذي يمثل الصوت الإعلامي لبوتين، في خضم تهديده بأن «السلوك الوقح قد تكون له عواقب نووية»^{٤٣}.

وبوجه عام تتمثل أهداف الحضور الروسي في احتواء الوجود الإسلامي والحد منه لتجنب تصديره إلى روسيا وإلى جوارها القريب، السوفييتي الأصل، وكذلك دعم السلطات والقوات الصديقة في المنطقة، وتأسيس تحالفات جغرافية سياسية معهم، وتأسيس القليل من الوجود الروسي العسكري في المنطقة وعلى أطرافها، وتوسيع الوجود الروسي في أسواق السلاح والطاقة النووية والنفط والغاز والغذاء والأسواق الأخرى في المنطقة، وكذلك جذب بعض الاستثمارات إلى روسيا، بصورة خاصة من دول الخليج العربي الغنية، ودعم أسعار الطاقة عن طريق تنسيق السياسات مع المنتجين الرئيسيين للنفط والغاز في الخليج^{٤٤}.

وتتمثل أولويات روسيا الحالية في تحقيق اتفاقية سلام بالاشتراك مع الولايات المتحدة، وتوطيد علاقتها بإيران؛ للاستفادة من رفع العقوبات، وتعزيز العلاقة مع مصر والعراق ومع الأكراد في سوريا والعراق، لتشكيل محور شراكة يمتد من طهران إلى القاهرة،

⁴² من كلمة بوتين باجتماع نادي فالداي للنقاشات في نسخته الثانية عشرة، ٤ أكتوبر/تشرين الأول 2015، الصفحة الرسمية لموقع (روسيا اليوم) على يوتيوب <https://goo.gl/gr9j0X>

⁴³ The threat from Russia, The Economist, Oct. 22nd, 2016: <https://goo.gl/jUqj3n>

⁴⁴ Russia in the Middle East: Moscow's Objectives, Priorities and Policy Drivers, Dmitri Trenin, Carnegie Moscow Center, April 5th, 2016: <https://goo.gl/2ybz3E>

وتأسيس- قدر المستطاع- علاقات براجماتية مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى، والبقاء على اتصال دائم بإسرائيل ٤٥.

أخيراً، لا تمتلك روسيا حلفاء دائمين في الشرق الأوسط، مثل إسرائيل بالنسبة إلى الولايات المتحدة، بل كل تحالفات روسيا مشروطة وبنيت الموقف، وتخدم بشكل رئيسي اهتمامات روسيا في المنطقة، أو أهدافها المتعلقة بالنظام العالمي. ولا يرغب الروس في تكرار خطأ التحيز الكامل لطرف معين في نزاع، بل يناوون باستمرار، بالمشاركة في تبادلات عند الضرورة، وفي السنوات الأخيرة، أوقفت روسيا شحنات أسلحة كبيرة متجهة إلى إيران، كجزء من تفاهم مع الولايات المتحدة، وإلى سوريا، لتتجنب إفساد علاقاتها مع إسرائيل، بل وتثق موسكو بقدرتها على التنقل بين طهران والرياض ٤٦.

٧. الخلاصة

يظهر جلياً أن روسيا، ومنذ وجود بوتين وطليعته على رأس السلطة في روسيا، ومحاويلته تقديم روسيا بشكل جديد، تختلف تماماً عن روسيا المترهلة والمأزومة التي كانت في عهد بروبسيس يلتسين، قوة تحاول أن تزيح معادلة العالم ذي القطب الواحد التي ترسخت بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، محاولة أن تظهر بشكل أكبر قوة مستعيدة (جزءاً) من نفوذها القديم الذي غاب بغياب الإمبراطورية الحمراء.

تحاول روسيا التمدد في ظل انتكاسة كبيرة للربيع العربي، وتحولات جذرية كان أهمها صعود اليمين العنصري في جزء كبير جداً من دول العالم، وفي ظل انسحاب أمريكي من منطقة الشرق الأوسط زادت بالتبعية فرص الصعود وإعادة تموضع روسي جديد بمنطقة الشرق الأوسط، ومناطق ميراثها الإمبراطوري السوفييتي القديم.

تتوفر لروسيا القدرة على النهوض مرة أخرى بحجم الموارد المتوافرة لها، سواء بصفتها من الدول الأكبر مساحة في العالم، وامتلاكها لموارد عديدة (مصادر طاقة متجددة وغير متجددة)، وترسانة من الأسلحة النووية، وصناعة ضخمة للأسلحة التقليدية، وخط حدودي موازٍ لعدد كبير من الدول الاستراتيجية في أوروبا وآسيا، وبالتأكيد ميراث تاريخي وثقافي كبير، وهو ما يؤهلها، حال توافرت الظروف، للعودة مرة أخرى لممارسة دور أكبر مما كان عليه وضعها.

45 Ibid.

46 Dmitri Trenin, Russia in the Middle East: Moscow's Objectives, Priorities and Policy Drivers, Carnegie Moscow Center, April 5th, 2016: <https://goo.gl/2ybz3E>

أحد أهم وأبرز أسباب الصعود الروسي كونه محاولة لتحجيم الهيمنة الأمريكية بصفتها قطباً أوحداً، في ظل تفرد الولايات المتحدة بقيادة العالم، تعتمد الاستراتيجية الروسية الدعائية في ذلك على الترويج للمثالب التي نتجت عن التدخلات الأمريكية في مناطق مختلفة، والحروب التي خاضها الأمريكيون في أفغانستان والعراق، والأزمات التي نتجت عن تغييرات سياسية بمناطق مختلفة كانت تداعيات لهذه التدخلات.

حاولت روسيا الدفاع بشكل صلب للغاية عن مناطق نفوذها الأساسية، وخاضت بسبب ذلك مواجهات ناعمة مع الولايات المتحدة وأوروبا، وكان أبرز هذه المساحات ملف سوريا وجورجيا وأوكرانيا، وسعت لتعزيز نفوذها محاولة خلق أطر اقتصادية وسياسية وعسكرية بديلة مع دول ومحاور بديلة (إيران- والصين- وكوريا الشمالية) في سبيل توحيد جبهات تناوئ الجبهة الغربية التي تقودها الولايات المتحدة وألمانيا.

1 Jentleson W., Bruce, 2010. American Foreign Policy: the Dynamics of Choice in the 21st Century. Fourth Edition. W.W Norton and Company: New York and London. P, 29.

2-Jim Acosta and Eli Watkins,(2017) “Trump refers to 'radical Islamic terrorism' despite NSC pushback”, CNN

-3 Neumann, R., & Coe, K (2012)The rhetoric in the modern presidency: A quantitative assessment. In J. A. Edwards & D. Weiss (Eds.), The rhetoric of American exceptionalism (p30 –11). Jefferson, NC

-4Lipset, S. M. (1996). American exceptionalism: A double-edged sword. New York, NY: W.W

-5 Cameron,G(2002): Progress, History and Identity in International Relations theory: the case of the Idealist-Realist Debate; European Journal of International Relations 186-147 :(2) 8

-6 Daniela PISOIU (2014) Arguing counterterrorism: new perspectives, Abingdon, Routledge

-7 ماجد السامرائي. (2017) 'ماذا على ترامب أن يفعله تجاه العراقيين', مجلة العرب. العدد: 10515 <http://www.alarab.co.uk/article>

-8 Stephen Wertheim, (3 January 2017) “Trump and American Exceptionalism: Why a Crippled America is Something New,” Foreign Affairs, <https://www.foreignaffairs.com/articles/united-states/03-01-2017/trump-and-american-exceptionalism>

-9Stephen Wertheim, (3 January 2017) “Trump and American Exceptionalism: Why a Crippled America is Something New,” Foreign Affairs <https://www.foreignaffairs.com/articles/united-states/03-01-2017/trump-and-american-exceptionalism>

-10Ian Buruma (2016) “The End of the Anglo-American Order,” New York Times Magazine, <http://www.nytimes.com/29/11/2016/magazine/the-end-of-the-anglo-american-order.html>

-11 Michael Finnegan, (7 November 2016) “Trump’s Closing Argument: The U.S. is ‘the Laughingstock of the World,’” Los Angeles Times, <http://www.latimes.com/nation/politics/trailguide/la-na-trailguide-updates-trump-s-closing-argument-the-u-s-is-1478540304htmlstory.html>

<http://janoubia.com/>

23- مارلين خليفة (03.03.2017) ' لا حرب إسرائيلية ضدّ لبنان في انتظار تبلور سياسة ترامب الخارجية' لبنان24

<https://www.onlylebanon.net/lebanon/03/03/2017/>

24- محمد شعبان (30.01.2017) 'الغارة الأمريكية في اليمن.. تغيير تكتيكي على طريقة ترامب

<https://al-ain.com/article/american-rain-yemen-trump>

25- ' http://www.dw.com/ar - منتصف السليمي ' حفتر..«حصان ترامب الأسود» للخروج من أزمة ليبيا؟

26- Orla Guerin (7 February 2017) 'Trump era heralds warming of US-Egypt ties' BBC News, Cairo [http://www.bbc.com/news/world-middle-east38878679-](http://www.bbc.com/news/world-middle-east38878679)

27-James F. Jeffrey & Dennis Ross (January 2017) 'General Principles to Guide U.S. Middle East Policy' <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/general-principles-to-guide-u.s.-middle-east-policy>

28 Walter Russell Mead & Sean Keeley (January24,2017) 'The Eight Great Powers of 2017' <http://www.the-american-interest.com/>

29 Jane Kinninmont (2016/09/10)'Many Middle East countries will welcome Trump's Victory'. 'The Guardian' <https://www.theguardian.com/commentisfree/2016/nov/10/middle-east-donald-trump-president>

30Bonnie Kristian (Feb 2017 ,6) 'Everyone is missing the big picture in Trump's Yemen raid' 'Business Insider' <http://www.businessinsider.com/big-picture-trump-yemen-raid2-2017-?IR=T>

31-- سمر العرعير (10 نوفمبر 2016) 'فوز ترامب و تأثيره على القضية الفلسطينية' 'جريدة الرأي' <http://alray.ps/ar/post/157469>

32 Jane Kinninmont (2016/09/10)'Many Middle East countries will welcome Trump's Victory'. 'The Guardian'<https://www.theguardian.com/commentisfree/2016/nov/10/middle-east-donald-trump-president>

33 Ishaan Tharoor (January 25) 'Trump's unquestioning support means trouble for Isreal' 'the Washington Post' [https://www.washingtonpost.com/news/worldviews/wp/25/01/2017/trumps-unquestioning-support-could-lead-israel-to-disaster/?utm_term=.](https://www.washingtonpost.com/news/worldviews/wp/25/01/2017/trumps-unquestioning-support-could-lead-israel-to-disaster/?utm_term=)

-12 John Schuessler, (28 February 2017) "Why Does Donald Trump Have So Much Trouble with the Truth?" <https://issforum.org/roundtables/policy/5-1r-truth>

-13 John Schuessler, (28 February 2017) "Why Does Donald Trump Have So Much Trouble with the Truth?" <https://issforum.org/roundtables/policy/5-1r-truth>

-14 Simon Henderson (March 2017 , 13) 'Saudi Arabia's Future Meets the Trump Administration' , Washington Institute, <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/saudi-arabias-future-meets-the-trump-administration>

-15 محمد زاهد غول (24 فبراير 2017) هل يفسد ترامب العلاقات التركية الروسية؟ <http://eldorar.com/node/109117>

-16 Peter Beinart (Feb 2, 2017) 'How Trump Wants to Make America Exceptional Again' 'the Atlantic' ' <https://www.theatlantic.com/politics/archive/02/2017/how-trump-wants-to-make-america-exceptional-again/515406/>

-17 سامر إلياس (2016/11/14) 'العلاقات الروسية الأمريكية بعد فوز ترامب' <http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/14/11/2016/>

-18 Simon Henderson (March 2017 , 13) 'Saudi Arabia's Future Meets the Trump Administration' , Washington Institute, <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/saudi-arabias-future-meets-the-trump-administration>

-19 عادل الأحمدى (21-جانفي 2017) 'مصير غامض لمبادرة كيري: ملف حرب اليمن بعهدة ترامب'

<https://www.alaraby.co.uk/politics/2017/>

-20 Max Boot (November 22, 2016) 'Trump's 'America First' Is the Twilight of American Exceptionalism' <http://foreignpolicy.com/22/11/2016/trumps-america-first-is-the-twilight-of-american-exceptionalism-obama/>

-21 Aron Woonink, (February 2017 , 1) 'From regime change to authoritarian stability? The Trump presidency and the Syrian Civil War' <http://paxetbellum.org>

-22 فادي شامية (31.01.2017) 'هذه عناوين سياسة ترامب تجاه سوريا ولبنان'

bc31e00514f8

-34 Jane Kinninmont (2016/09/10) 'Many Middle East countries will welcome Trump's Victory'. 'The Guardian' <https://www.theguardian.com/commentisfree/2016/nov/10/middle-east-donald-trump-president>

--35 Jane Kinninmont (2016/09/10) 'Many Middle East countries will welcome Trump's Victory'. 'The Guardian' <https://www.theguardian.com/commentisfree/2016/nov/10/middle-east-donald-trump-president>

-36 James F. Jeffrey & Dennis Ross (January 2017) 'General Principles to Guide U.S. Middle East Policy' <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/general-principles-to-guide-u.s.-middle-east-policy>

-37 Nehal Fathi & Oussama Lakhdar (November 7, 2016) 'What would Trump mean for the Arab world?' <http://www.thenational.ae/opinion/comment/what-would-trump-mean-for-the-arab-world>

-38 Brian Schmidt (2012) International Relations and the First Great Debate. London: Routledge.

-39 Peter Beinart (Feb 2, 2017) 'How Trump Wants to Make America Exceptional Again' 'the Atlantic' <https://www.theatlantic.com/politics/archive/02/2017/how-trump-wants-to-make-america-exceptional-again/515406/>

-40 Josh Rogin (May 17, 2017) 'Trump to unveil plans for an 'Arab NATO' in Saudi Arabia' The Washington Post; https://www.washingtonpost.com/news/josh-rogin/wp/17/05/2017/trump-to-unveil-plans-for-an-arab-nato-in-saudi-arabia/?utm_term=.d909139f36ec

-41 Maria Abi-Habib (Feb. 2017, 15) 'U.S., Middle East Allies Explore Arab Military Coalition' The Wall Street Journal, <https://www.wsj.com/articles/u-s-middle-east-allies-explore-arab-military-coalition1487154600->

-42 REUTERS (17 May 2017) Newsweek; 'SAUDI ARABIA TO PUSH DONALD TRUMP FOR HARSHER TONE ON IRAN IN RIYADH' [HTTP://WWW.NEWSWEEK.COM/TRUMP-FORGE-CLOSER-TIES-SAUDI-ALLIES-RIYADH-TALK-TOUGH-EXTREMISM610557-](http://WWW.NEWSWEEK.COM/TRUMP-FORGE-CLOSER-TIES-SAUDI-ALLIES-RIYADH-TALK-TOUGH-EXTREMISM610557-)

-43 Ken Thomas, (May 2017, 4) "Trump's First Foreign Trip to Include Stops in Israel, the Vatican, Saudi Arabia," Chicago Tribune, <http://www.chicagotribune.com/news/nationworld/ct-trump-first-foreign-trip->



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات Strategic Fiker Center for Studies

مركز مستقل غير ربحي، يُعدّ الأبحاث العلمية والمستقبلية، ويساهم في صناعة الوعي وتعزيزه وإشاعته من خلال إقامة الفعاليات والندوات ونشرها عبر تكنولوجيا الاتصال، إسهاماً منه في صناعة الوعي وتعزيزه وإثراء التفكير المبني على منهج علمي سليم

الرسالة

المساهمة في رفع مستوى الوعي الفكري، وتنمية التفكير الاستراتيجي في المجتمعات العربية

الأهداف

- الإسهام في نشر الوعي الثقافى.
- قياس الرأي العام إقليمياً ودولياً تجاه قضايا محددة.
- التأصيل العلمي للقضايا السياسية المستجدة.
- مواكبة المتغيرات العالمية والعربية، من خلال إعداد الأبحاث وتقديم الاستشارات.

الوسائل

- إعداد الدراسات والأبحاث والاستشارات والتقارير وفق منهجية علمية.
- التواصل والتنسيق مع المراكز والمؤسسات البحثية العربية والعالمية.
- تناول قضايا التيارات الفكرية المتنوعة بما يؤصل لضروريات التعايش السلمي، والمشاركة الفاعلة.
- إقامة المؤتمرات والندوات الفكرية وحلقات النقاش.
- رعاية الشباب الباحثين المتميزين.

مجالات العمل

تتنوع مجالات العمل في المركز وتشمل ما يلي:

١. الأبحاث والدراسات:

حيث يقوم المركز على إعداد الدراسات والأبحاث وفق المنهجية العلمية في مجالات تخصص

المركز، وهي:

- الدراسات السياسية.
- الدراسات المتخصصة في التيارات الإسلامية والفكرية.
- الدراسات الحضارية والتنمية.
- دراسات الفكر الإسلامي.

٢. الاستشارات وقياس الرأي:

يسعى المركز لتقديم الاستشارات والحلول في مجالات اهتمام المركز للجهات الرسمية والأهلية، وذلك من خلال قياس الرأي العام تجاه القضايا الفكرية والأحداث السياسية والاجتماعية، بالتعاون مع كادر علمي مُحترف ومُتعدّد المهارات.

٣. النشر:

يسهم المركز في نشر الدراسات والأبحاث عبر وسائل النشر المتنوعة.



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات
Strategic Fiker Center for Studies

Akat Mah, Hare Sk. No:15
Beşiktaş / Istanbul

+90 535 320 46 03
+90 212 801 01 25

www.fikercenter.com
info@fikercenter.com
publish@fikercenter.com

  
fikercenter